المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي

المملكة المغربية
Royaume du Maroc

ⴰⵙⴳⵎⵉ ⴰⵏⴰⵎⵓⵔ ⵏ ⵜⵍⵖⴰⵎⵜ ⴰⵏⴰⵎⵓⵔ ⵏ ⵜⵎⵓⵔⵜ

Conseil Économique, Social et Environnemental

النُّهوض بالقراءة، ضرورة مُلِحّة

تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي

إحالة ذاتية رقم 2019/40

www.cese.ma

المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي

النُّهوض بالقراءة، ضرورة مُلِحّة

إحالة ذاتية رقم 2019/40

«ونود اليوم أن نؤكد على مدى أهمية حشد كل الطاقات، في سبيل الدفاع عن علو مكانة الفنون وسمو رسالة الثقافة، وخلق بيئة تشجع على الإبداع والفكر.»

من الرِّسالة الملكيّة السّاميَة بمناسبة الحفل الأول لموسيقى البحر الأبيض المتوسط
09 **يوليوز** 2016.

إحالة ذاتية رقم 2019/40

- طِبْقاً للقانون التنظيمي رقم 12.128 المتعلق بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي وقانونه الداخلي؛
- استنادا إلى قرار المجلس الانكباب، في إطارِ إحالة ذاتية، على إعداد تقرير حول موضوع النهوض بالقراءَة؛
- استنادا إلى قرار مكتب المجلس بتكليف اللجنة الدائمة المكلفة بمجتمع المعرفة والإعْلامِ بإعدادِ تقريرٍ ورأي حوْل الموضوع؛
- استنادا إلى مصادقة الجمعية العامّة للمجلسالمنعقدة بتاريخ 27 يونيو 2019، بالإجْماع على التقرير الذي يحمل عنوان» النّهوض بالقراءة، ضرورة ملحة».

يقدم المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي تقريره:

النُّهوض بالقراءة، ضرورة مُلِحّة

تم إعداد التقرير من طرف
لجنة مجتمع المعرفة والإعْلامِ

رئيس اللجنة : أمين منير العلوي
مقرر اللجنة : مصطفى اخلافة
مقرر الموضوع : عبد الله الدكيك

الفهـــــرس

ملخص 11

مقدّمة 13

الإطارُ المرجِعِيّ 15

I. القراءَةُ في المَغْرِبِ: واقِعُ الحالِ 17

II. المُقارنات الدولية والدّروس المُسْتفادَة 39

III. توصيات: من أجل نُهوضٍ ناجِعٍ ومُسْتدامٍ ومُدمِجٍ للْقِرَاءَة 51

ملاحق 55

الملحق 1: لائحة أعضاء اللجنة الدائمة المُكلفة بمجتمع المعرفة والإعلام 55

المُلحق 2: لائحة الشّخصيات التي تَمَّ الإنْصاتُ إليْها 56

الملحق 3: مراجع بيبليوغرافيّة 57

ملخص

تشكل القراءة آلية أساسية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية لأي بلد. لذلك فإن الإقبال عليها وإتقانها على امتداد سنوات الحياة يعد ضرورة لا غنى عنها.

ويسلط تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي حول موضوع «النهوض بالقراءة، ضرورة ملحة»، الضوء على ما تشهده بلادنا من تراجع للقراءة وللأنشطة المساعدة على تعزيز وإغناء معارف المواطن ومهاراته.

ويعزى هذا الوضع للعديد من العوامل، نذكر منها : وجود بيئة أسرية ومنظومة تربوية لا تُشجِّعان بالقدر الكافي على تنمية حب القراءة؛ العدد غير الكافي للمكتبات المدرسية والمكتبات العمومية وأماكن العيش الخاصة بالنهوض بالقراءة، بالإضافة إلى محدودية الإنتاج الثقافي الوطني.

وقد جرى، انطلاقا من مكامن الضعف المشار إليها، اتخاذ جملة من التدابير والمبادرات، سواء من لدن السلطات العمومية أو الفاعلين بالمجتمع المدني، من أجل النهوض بالقراءة في المغرب. ونذكر في هذا الصدد، الجهود المبذولة في مجال تطوير البنيات التحتية، وبلورة برامج لدعم قطاع النشر والكتاب، وتنظيم مسابقات القراءة وتظاهرات الاحتفاء بالكتاب (المعرض الدولي للنشر والكتاب)، والمشاركة في المباريات والاختبارات الدولية للقراءة (تحدِّي القراءة العَرَبِيّ...).

غير أن هذه المبادرات لا تسمح بإطلاق دينامية وطنية فعلية للنهوض بالقراءة داخل المجتمع المغربي.

ومن هذا المنطلق، يوصي تقرير المجلس بِوَضْعِ اسْتِرَاتِيجِيَّةٍ وَطَنِيَّةٍ مُنَسَّقَةٍ، تنفذ بصُورَةٍ تدْرِيجِيَّةٍ، بِهَدَفِ تَشْجِيعِ القِرَاءَةِ مَدَى الحياةِ وفي كُلِّ مَكانٍ. ومِن بينِ المقترحاتِ التي بلورها المجلس في هذا الإطار، نذكر:

- تنظيم مناظَرَة وطنيّة حول القراءَة في وظائفها المُختلفة، في أفق إعْدادِ سِياسَةٍ مُنْدَمِجَةٍ ومُشْتَرَكَة بيْن مختلف الفاعلين المعنيّين؛
- إدراج النّهوض بالقراءَةِ بشكل واضح وصريح ضمن سّياسة التنّمية التُّرابيّة؛
- دعم المجتمع المدني من أجل تنفيذ برنامج على مستوى كل جماعة ترابية، يهدف إلى تشجيع القراءة في مختلف الدعامات؛
- تشْجِيعُ نّشْرِ وتوزيع مؤلفات الكُتَّاب المغاربة من خلال إرساء برامج تشجيعية وتَدَابير تَحْفيزِيّة، مثل منح الجوائز وتوفير الدّعْم لمختلف فئات المؤلفات؛

- إنْشاءُ مَكتباتٍ مجّانيةٍ عبْرَ شبكةِ الإنترنت للنّهوض بالتراث الثّقافِيِّ الوطني والتُّراثِ العالَمِيِّ.
- تمكين ضعاف البصر والمكفوفين، من الولوج إلى الوثائق الرسمية بواسطة استعمال تقنية «البْرايل» وتقنيات أخرى بديلة توفرها التكنولوجيا الحديثة.
- إطْلاق مُبادَرَةٍ وطنيّةٍ لتَشْجيعِ المُقاوَلات النّاشئة المُنخَرِطة في مجالِ خلق أدواتٍ وتطبيقات رَقْميّة موجهةً للنهوضِ بالقراءة، وذلكَ مِنْ أجْلِ إشراكِ أكبر عَدَدٍ من الأشْخاصِ في عمليّةً القراءة، معَ الأخْذِ في الاعْتبار حاجياتهم الخاصّة.

مقدّمة

تشكل القراءة آلية أساسية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية لأي بلد. لذلك فإن الإقبال عليها وإتقانها على امتداد سنوات الحياة يعد ضرورة لا غنى عنها. لقد أحدثت التطوُّرات التِّقْنيّة الجَديدَة تغْييرات هامّة على مُختلف الأنْشطَة المُرْتبطَة بالقراءَة، وَكَذا مُختلف وَظَائفها في جميع المجالات وعلى المُسْتَوَيات الاقْتصَاديَّة والاجْتماعيّة والثّقافيَة. وإذا كانَ منَ الصّحيح أنّ القراءَةَ كفايَةٌ أَسَاسيّةٌ لا غُبارَ عَلَيْها بالنّسبَة للْجَميع، تُكْتَسَبُ داخلَ المَدْرَسَة وذاتُ صلَة بالتّرْبيَة الوَطَنيّة، فَإنَّها تقتضي إشْراكَ مُخْتَلف الفاعلينَ الاجْتماعيّينَ والمُؤسّساتيّينَ من أجل تعزيزها والنهوض بها.

إن مُخْتلف وَظائف القراءَة تشهد اليوم تغيرات جراء الثورة الرقمية. وَمنْ ثَمّ إذَنْ، فَإنَّ هَذَا التَّحَوُّلَ العَميقَ لفعْل القراءَة يُعْطي مَعْناه الكامل لفكْرَة «القرائيَّة»، أيْ «القُدْرَةُ على القراءَة والفَهْم واسْتعمالِ المَعْلُومَة لغايات مُلائمة»[1].

وفي المغرب، وعلى غرار العَديد منَ البُلدان الأخْرى، تشيرُ الدّرَاساتُ والأبْحاثُ الميْدانيّةُ إلى أنّ المَغاربَةَ لا يَقْرَأونَ، أو أنّهم على الأقَلِّ لا يقرأونَ كثيراً، وأنّ عادات القراءَة داخلَ الأُسْرَة نادرَةٌ، وأنّ اقْتناءَ الكُتُب لا يُعَدُّ أوْلَويّةً بالنّسْبَة لعَدَد كبير منَ المُواطنينَ؛ ولَعَلَّ هذا منْ بيْن الأسباب التي أدَّتْ إلى إغْلاق عَدَد كَبير منَ المَكْتَبَات. أضفْ إلى ذلكَ أنَّ قطاعَ النَّشْر في بلادنا، الّذي لا يُنْتجُ إلّا عددًا متواضعًا منَ الإصْدارات، يُعاني بدَوْره منْ عَدَد منَ الصّعُوبات. ومنْ ثَمّ، فإنّ هذه الوضْعيّة الوطَنيّة ينْبغي أنْ تَتَحَسَّنَ، خاصّة أنّ التكَيُّفَ معَ القراءَة الرَّقْميّة أو معَ اسْتعمال أدوات رَقْميّة يُعْتَبَرُ انْتقالًا ضَروريًا يتعيّنُ أخْذُهُ في الاعْتبار في هذا الأُفُق، الّذي يُفَسِّرُ إلى حدٍّ ما المَيْلَ الضّعيفَ إلى القراءَة.

ويتجلّى الهدف العامّ من هذا التقرير في تحليل وَضْعيّة القراءة في المغرب، في عَصْر الثّورة الرّقْميّة، مع الأخْذ في الاعتبار هذه المُقاربَةَ الجَديدَةَ لمُمارَسَتها ولوَظائفها وَآثارها. انطلاقًا من كُلّ هَذه الأُسُس، سَعَى المجْلسُ الاقتصاديُّ والاجْتماعيُّ والبيئيُّ إلى تحْديد العَمَليّات المناسبة للنُّهُوض بالقراءَة، ومُسَاءَلَة مُخْتلف الفاعلينَ وَصُنّاع القَرار، من القطاعَيْن العَامّ والخَاصّ، القادرينَ على تطْويرها. كما أنّ التقرير يُجَسِّدُ هَذه العَمَليّات منْ خلال اقْتراح تَوْصيّات عَمَليّة كَفيلَة بوَضْع اسْتَرَاتيجيّة وَطَنيّة مُنَسّقَة، بصُورَة تَدْريجيّة، بهَدَف تَشْجيع القراءَة مَدَى الحياة وفي كُلِّ مَكان. وينْبَغي تَرْجَمَة ذَلكَ إلى مُخطّطات عَمَلٍ وَمُخَطّطات للنُّهُوض بالقراءَة تكونُ مُحَدّدَةً ومُوَجَّهَةً لفائدَة جَميع فئات السّاكنَة.

1 – التعليم للجميع، اليونسكو 2006، وهو تقريرٌ يقدِّمُ جرداً حَوْلَ مُنتصف المُدّة للْحَمْلة العَشْريّة لمَحْو الأميّة والقرائيّة، ويُحَدِّد أربعة تفسيرات متميزة للقرائيّة:

- القرائيّة باعتبارها مجموعة مستقلّة من القدرات؛
- القرائيّة التطبيقيّة التي تُمارَس في وضْعيّة محدَّدَة؛
- القرائيّة باعتبارها عمليّة تَعَلُّم؛
- القرائيّة باعتبارها نَصًّا.

الإطارُ المرجِعِيّ

يَنُصُّ الفصلُ 33 من الدّسْتورِ المَغْرِبِيِّ على واجباتٍ أخرى تقومُ بها الدّوْلَةُ ذاتِ صِلَةٍ بالقِرَاءَةِ منْها:

- تَوْسيعُ وتعميمُ مشارَكَةِ الشّبابِ في التنميةِ الاجتماعيةِ والاقتصاديّةِ والثقافيّةِ والسياسيةِ للبلادِ؛
- مساعدَةُ الشّبابِ على الانْدماجِ في الحَياةِ النّشيطةِ والجَمْعَويّةِ، وتقديمُ المُساعَدَةِ لأُولَئِكَ الّذينَ تَعْتَرِضُهُم صُعوبَةٌ في التَّكَيُّفِ المَدْرَسِيّ أو الاجْتماعِيّ أو المِهْنِيّ؛
- تَيْسيرُ وُلوجِ الشبابِ إلى الثّقافةِ والعلْمِ والتِّكْنُولوجيا والفَنِّ والرِّياضَةِ والأنْشِطَةِ التَّرْفيهيّةِ، مَعَ توْفيرِ الظُّروفِ المُواتيَةِ لتَفَتُّقِ طاقاتِهِمُ الخَلّاقةِ والإبْداعيّةِ في كُلّ هذهِ المَجالاتِ».

كمَا يَنُصُّ القرارُ رقْم 56/116 منْ عَقْدِ الأمم المتّحدَةِ لمُحارَبَةِ الأمّيّةِ، الذي صادقتْ الجَمْعيّةُ العامَّةُ للأُمَمِ المُتَّحدَةِ في سَنَةِ 2002، على أنَّ «محارَبَةَ الأمّيّةِ للجميعِ هيَ في صُلْبِ التعليمِ الأساسيِّ، وهيَ ضَرُورَيّةٌ منْ أجْلِ خَلْقِ بيئاتٍ ومُجتَمَعَاتٍ مُتَعلّمةٍ للتمكُّنِ منَ القضاءِ على الفقْرِ والحَدِّ منْ وَفَيَاتِ الأطْفالِ والحَدِّ منَ التّوَسُّعِ الدّيمغرافيّ وتحقيقِ المُساواةِ بيْنَ الجِنْسَيْنِ وَضَمانِ التّنْميةِ المُسْتدامَةِ والسِّلْمِ والدّيمُقراطيّةِ». (الجَمْعيّةِ العامّةِ، 2002، ص 3).

قامَتْ مُنَظَّمَةُ الأُمَمِ المُتّحدَةِ، سنة 2015، بتحديدِ أهْدافِ التّنْميَةِ المُسْتدامةِ، التي رسمتْ للمُجتمعِ الدّوْليِّ أهدافًا يتعيّنُ بلوغها بحلولِ سَنَةِ 2030. ومِنْ بيْنِها الْهَدَفُ الرّابعُ الّذي يَرْمي إلى ضَمانِ الوُلوجِ إلى تعليمٍ ذي جَوْدَةٍ لفائدةِ الجميعِ. ويدعو هذا الهدفُ على وَجْهِ الخُصُوصِ بحُلُولِ سنة 2030 إلى:

- ضمانِ أنْ يتمتّعَ جميعُ البناتِ والبَنينَ بتَعْليمٍ ابتدائيٍّ وثانَويٍّ مَجّانيّ وَمُنْصِفٍ وجيّدٍ، مِمّا يُؤَدّي إلى تحقيقِ نتائجَ تعْليميّةٍ مُلائمةٍ وَفَعّالَةٍ؛
- ضَمانِ أنْ تُتاحَ لجميعِ البَناتِ والبَنينَ فُرَصُ الحُصولِ على نَوْعيّةٍ جيّدةٍ منَ التّنْميةِ والرّعايةِ في مَرْحلةِ الطُّفولةِ المُبَكِّرَةِ والتعليمِ الأوّليِّ حَتّى يَكُونُوا جاهزينَ للتّعْليمِ الابتدائيِّ؛
- ضَمانِ أنْ تلمّ نسبةٌ كبيرةٌ من الشّبابِ والبالغينَ، رجالاً ونساءً على حَدٍّ سواءٍ، بالقِرَاءَةِ والكتابَةِ والحِسَابِ.

وعلى صَعيدٍ آخَرَ، فإنّ الجَمْعيّةَ العامّةَ للأُمَمِ المُتّحدَةِ، وهيَ تُعيدُ التّأكيدَ منْ جديدٍ على دَوْرِ مُنَظَّمَةِ اليُونِسْكُو الكبيرِ في النُّهُوضِ بالقراءةِ، اعتمدتْ في جمعيتِها العامّةِ الرّابعَةِ والأرْبَعينَ للجنةِ الثالثةِ (الاجتماعيةِ والإنسانيةِ والثقافيةِ) للدورةِ الثالثةِ والسبعينَ، في نونبر 2018، قراراً جديداً بعنوانِ «مَحْوُ الأمّيةِ رهانٌ حيويٌّ: تحديدِ برامجِ العملِ القادمةِ». ويُذَكِّرُ هذا القرارُ بأنّ

مَحْـوَ الأمّيـة مسْـألةٌ حاسـمَةٌ لـكُلّ طفْـلٍ وكُلِّ شـابّ وكُلّ شـخْصٍ بالـغٍ مـنْ أجـلِ اكتسـابِ المَهـارات الأساسـيّة الّتي تمكّنُـهُ مـنْ مُواجَهَـة القضايـا التـي قـدْ تعترضهـم فـي حياتِهـم. وهـي تُعْتَبَـرُ شـرْطاً أساسـيّا للتعلُّـمِ مَـدَى الحَيَـاة». فَضْـلاً عـن الاعْتـرَاف بالقـرَاءَة والكتابـة باعتبارِهمَـا «العامـلَ الأوّل للتعلُّـمِ مـدَى الحيـاة، وَخطْـوَةً ضَرُوريّـةً نحـو مُمَارَسَـةِ حُقـوقِ الإنْسـانِ والحُرّيـاتِ الأساسـية، إضافَـةً إلـى كوْنِهمـا مُحَـرِّكاً للتَّنْميـةِ المُسْـتدامَة»؛

- الاتفاقيـة الدّوليـة لحقـوق الأشـخاص فـي وضعيـة إعاقـة، التـي صـادق عليهـا المغـرب فـي 08 أبريـل 2009؛
- معاهـدة مراكش الراميـة إلـى تسـهيل ولـوج المكفوفيـن وضعـاف البصـر إلـى قـراءة النصـوص المنشـورة ورقيـا.

وقـد قـام المجلس الاقتصـادي والاجتماعـي والبيئـي بإنجـاز تقريـره حـول النهـوض بالقـراءة اسْـتِنادًا إلـى مُخْتلـفِ هـذه الأهْـدَافِ (الدوليّـةِ والوطنيـة).

وتشـكل مضامـيـن التقريـر، الـذي جـرى إنجـازه باعتمـاد مقاربـة تشـاركية، ثمـرة للنقـاش الواسـع بيـن مختلـف الفئـات المكونـة للمجلس ولمخرجـات جلسـات الإنصـات التـي تـم تنظيمهـا مـع أبـرز الفاعليـن الاقتصادييـن والاجتماعييـن والثقافييـن المعنييـن بالموضـوع.

يَسْعَى هذا التقريرُ إلى تحْقيقِ الأهدافِ التالية:

- تحسيسُ مجْمُوعِ الفاعلينَ بأهمّيّة النهوض بالقراءة؛
- اعتمـادُ تَوَجُّهـاتٍ تمكّـن مختلـفَ السّياسـاتِ العُموميّـةِ مـنْ جَعْـلِ النهـوضِ بالقـراءةِ قضيّـةً ذاتَ أوْلَويّـة؛
- الوقـوفُ علـى أفْضَـلِ المُمارَسـات علـى الصّعيـدِ الدّوْلِـيّ فيمـا يتعلّـق بإعـدادِ وتخطيـط وأخْـذِ المُبـادرَةِ لتَشْـجيعِ النُّهُـوضِ بالقـراءة؛
- اقتـراحُ تَوْصيّـاتٍ مِـنْ شـأنِها المُسـاهَمَةَ، علـى المَـدَى القصيـرِ والمُتَوَسِّـط، فـيَ تحْسـينِ وَضْعيّـةِ القـراءةِ فـي المغْـرِب.

I. القراءَةُ في المَغْرِب: واقِعُ الحال

الأُسْرة والمُحيط السّوسيو-اقْتصادِيّ

أجْمَعَ مُختلفُ الفاعلينَ الذين أنْصَتَ إليْهم المجلسُ الاقتصَاديُّ والاجتماعيُّ والبيئيُّ[2]، وكذا العَديدُ منَ الدِّراسَات على الدّوْر الحَاسم للْأُسْرَة والمُحيط السّوسيو-اقْتصَاديِّ على مُسْتَوَى القرَاءَة لَدَى الأطْفال. وبالفعْل، فإنّ التّمَكّنَ من القراءة منذُ سنٍّ مُبكّرة تكونُ له آثارٌ إيجابيّة على المدى الطويل، حيثُ أنّ الأطفالَ الذين يَلِجُونَ التعليمَ الأوّليَّ منْذُ سنّ الثالثة منْ عُمرهم، يحْصُلُونَ على نَتَائجَ أفْضَلَ. كما أنّ الأطفالَ الذينَ يتوفّرونَ على بيئة عائليَّة مُشجِّعَة، يقومُ فيها الآباءُ في كثيرٍ من الأحْيَان بإشْراكهم في أنشطةٍ قرائيّةٍ مبكّرة، يكونُ أداؤُهُم أعلى في المتوسِّط.

وتُبَيِّنُ نتائجُ بحْث ميدانيّ أُجْرِيَ سنة 2016[3]، أنّ 48.2 في المائة من الأشْخاص المُسْتَجْوَبينَ لا يقرؤون الجرائد، مقابلَ 15 في المائة ممَّنْ يقْرَأونَ بكيْفيّة يوميّة. وإذا كان 10.6 في المائة من الأشخاص لا يقرأون الجرائدَ إلّا في حالات نادرة، فإنّ 26.2 في المائة يقرأونَها تقريباً مرّتيْن في الأسْبُوع. بالإضَافَة إلى ذلك، فإنّ 64.3 في المائة من المَغَاربَة لَمْ يَشْتَرُوا كتاباً واحداً خلال الاثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا التي سَبَقَتْ هذا البَحْثَ الميْدانيَّ، مُقابلَ 35.7 في المائة الذينَ اشْتَرَوْا الكتب خلال الفترة نفسها.

وحَسَبَ تصنيف اليونسكو، فإنَّ المغرب يحْتَلّ المَرْتَبَةَ 162 على الصّعيد الدّوْليّ في مَجَال القرَاءَة والكتَابَة. وهي وضعية تؤكدها إحصائيات المندوبية السامية للتخطيط، التي تشير إلى أن أزيد من 97 في المائة من الأطفال المتراوحة أعمارهم ما بين 7 و14 سنة لا يقرؤون.

وتُؤَكّد الدّراسَةُ الدَّوْليّةُ لتقويم تطوُّر الكفايات القرائيّة (2016) أنَّ هناكَ عنصران يُسْهِمَان في خلْق بيئة مُشَجِّعَة على مُمَارَسَة القرَاءَة:

- وُجود آباءٍ مُتعلِّمين ومتعَودينَ على القراءة؛
- تشجيع الأطفال في سنٍّ مُبكّرَةٍ على المُشاركَة في الأنشطة المُتعلِّقَة بتعلُّم القرَاءَة.

وبالتّالي، فإنّ الوَسَط السُّوسْيُو-اقتصاديّ يَلْعَبُ دَوْرًا هامًّا، لأنّه يُشَجِّعُ على القرَاءَة داخلَ البَيْت، حَيْثُ أنّ 38 في المائَة من التّلاميذ المَغَاربَة فقط هُم الذين يتوفّرُونَ على بَعْض مَصَادر القرَاءة في بيوتهم، مُقابل 61 في المائة لا يتوفّرون على هذه المصادر القرائيّة. كما أنّ هناكَ عواملَ سوسيو-اقتصادية أخرى تَعُوقُ تنمية القراءة منها: ظروف السّكن (47 في المائة من التّلاميذ يعيشون في مساكنَ غيْر لائقَة [4]) والنقل العُمُوميّ والفضاءات العموميّة غَيْر المُلائمَة.

2 – جلسة إنْصات مع السيّد إدريس اخروز بتاريخ 4 أكتوبر 2018.

3 – المُمارَساتُ الثّقافيّة للمغاربَة، دراسَة من إنْجاز عائشة نوري ومحمد السموني، خلال الفترة ما بيْن 17 دجنبر 2015 و30 يونيو 2016.

4 – تقرير «مدرسة العدالة الاجتماعية»، 2018، هو مساهمة المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي في التفكير حول تجديد النموذج التنمويّ.

المدرسة المغربية، من أَجْلِ اكْتسابٍ جيّدٍ للكفايات القِرائيّة

توجدُ القراءةُ في قَلْبِ الكفايات الأَساسيّة التي ينْبغي أنْ يَكْتَسبَهَا الطِّفْلُ داخلَ المَدْرَسَة؛ وهذا الاكْتسابُ هو الذي يتحَكَّمُ في نَجَاحه الدّراسيِّ وفي مُسْتَقْبَله. وفي هذا السّياق، تُثارُ في الكثيرِ منَ الأَحْيان الصّعُوبَةُ الأساسيّةُ التي تَعْتَرِضُ المَنْظُومَةُ التَّرْبَوِيّةُ في المَغْرب للقيام بمهمته بكَيْفيّة فعّالة. ولا بدّ من الإشارَة إلى الجُهُود التي قدْ بُذلَتْ في اتّجاه تَجَاوُز هذه الوضْعيّة وَجَعْلِ المَدْرَسَة المغربية العُمُوميّة مدرَسَةً جَذّابَة. غَيْرَ أنّه يصعُبُ النّهُوضُ بالقراءَة دون ربْطها بالمدرسة: ففي المدرسَة يتعلّم الطفل كيفية التعرف على الحروف الهجائيّة وعلى تركيبها في كلماتٍ، علاوَةً على فَهْمِ نُصوصٍ أكْثَر تعْقيدًا.

وللإشارَة، فإنّ نتائجَ الدراسة الدولية لتقويم تطوّر الكفايات القرائيّة، المُشار إليْها سابقاً، والتي تهمّ القراءَة المدرسيّة، قدْ وَضَعَتْ روسيا في صَدَارَة التّصنيف الدّوْليّ، تليها سنغافورة وهونْغْ كُونْغْ. ويحتلُّ المغربُ في هذا التّصْنيف العالَميِّ المَرْكَزَ 48، متقدّماً على مصر (المركز 49) وجنوب أفريقيا (المركز 50). وَمَعَ ذلك، لا بُدَّ منَ الإشارَة إلى أنّ النّتيجَةَ التي حَصَلَ عليْها المغربُ قد تحسّنتْ بالمُقارَنَة مع سنة 2011. ولا يتجلّى الهَدَفُ فقط في قياسِ مستوى كفايات القِرَاءة لَدَى التلاميذ، بقدْرِ ما يتجلّى كذلكَ في فَهْمِ مُختلف المظاهرِ الاجتماعيّة والاقتصادية والتربوية والعائلية والفرديَّة المرتبطة بأداء التلاميذ بيْن البلدان أو داخلَها، والتي ينبغي الاشْتغالُ علَيْها بِهَدَفِ تَحْسينِ هَذِهِ الكفايَة[5]. (انْظُر الإطارَيْن 1 و2).

الإطار رقم 1: مجال تطبيق الدّراسَة الدّوليّة لتقويم تطوّر الكفايات القِرائيّة

تُقدم الدراسة الدولية لتقويم تطوّر الكفايات القرائيّة (PIRLS) مُعطيات وتوجّهات مقارنة حول الكفايات القرائيّة لأكثر من 60 منظومة تعليميَّة. ففي سنة 2016، امتدّ مجال تطبيق هذه الدراسة الدّوليّة ليشْملَ برنامجا متجدّدا يتعلق بالقراءة عبر الإنترنت يُسَمَّى ePIRLS وَتَخْلُصُ هذه الدّراسة إلى أنّ القراء الجيِّدين يتوفّرونَ على امتيازٍ في مَجَال الكفايات القِرَائيّة الرقمية: 50 في المائة من الطلبة يُعتبرون قراءً جيدين، بلْ ومتميّزين يَصِلون إلى النقطة المرجعية الدّوْلية العليا التي حدّدتها الدراسة الدّوليّة.

5 – لا يشيرُ الإطارُ المَرْجِعيّ لهذا البَحْث الميدانيِّ إلى مصطلح «الكفاية»، بقدْرِ ما يُحيلُ إلى عملية الفَهْم. وقد تَمَّ إعدادُ الأسئلة المصاحبة لنصوص الاختبار بطريقة تُغَطّي العمَليات الأربع التالية: 1) إيجاد واستخراج المعلومات البارزَة؛ 2) القيام باسْتدْلالاتٍ بسيطة؛ 3) تأويل وإدْماج الأفكار والمعلومات؛ 4) فحْص وتقييم المحتوى واللغة والعناصر النصية.

وَيَتِمّ تقييمُ كلّ عَمَليّة من عمليات الفَهْم من خلالِ نُصُوصٍ تسعى إلى تحقيقِ هدفيْن رئيسييْن للقراءة:

- – القراءةُ منْ أجْل تجربة أدبيّة؛
- – قراءة لاكتساب واستخدام المعلُومَات.

إنّ التمكن من القراءة منذ سنّ مبكرة له آثار إيجابية على المدى الطّويل: ذلك أنّ التلاميذَ الذين التحقوا بالتعليم الأوّلي منذ سنّ الثالثة ، يكونُ أداؤُهُم أفضل في المتوسط. كما أنّ التلاميذ الذين يتمتّعون بمُحيط عائليّ مُلائم، يقوم داخله الآباء في كثير من الأحيان بإشراك أبنائهم في أنشطة قرائيّة مُبكرة، قد أبانوا كذلكَ عنْ أداءٍ قرائيّ أعلى في المتوسط. كما كشفت الدّراسة نفسها عن تفوّق البنات على الذّكور بحَوَالَيْ 18 نقطة في 48 بلداً وإقليماً. وأخيراً، فإنّ هذه المعطيات تبيّن مدى التقدم الذي تم إحرازه في مجال تنفيذ أجندة التربية والتعليم 2030، ولا سيّما الهدف 4.5 منها، الذي يهمّ «القضاء على التفاوت بين الجنسين في التعليم وضمان تكافؤ فرص الولوج إلى جميع مستويات التربية والتكوين المهني للفئات الضعيفة، بما في ذلك الأشخاص في وضعيّة إعاقة، والشعوب الأصلية والأطفال الذين يعيشون في ظلّ أوضاع هَشة، بحلول سنة 2030.

وقد أكدَّتْ مناقشاتُ اللجنة وجلسات الإنْصات، التي تم تنظيمها[6]، الصُّعوبَة الكبيرَة التي تُعاني منْها المَنْظومَةُ التربويّةُ في مجال اسْتنْبات ثَقافَة القرَاءَة لَدَى الأطفال وَجَعْلهمْ يُحبُّون الكتَابَ. وإزاء هذا الوضع، أَقْدَمَت الوزارَةُ على إطْلاق مَشْرُوع «القراءة من أجل النّجاح» في إطار الرُّؤْيَة الاسْتراتيجيّة للإصْلاح 2015-2030 للنهوض بالتربية والتّكوين. وعلى صَعيد آخَرَ، أوصى المجلسُ الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي مؤخَّراً بتعْميم التعليم الأوّليِّ؛ وبالتالي فإذا تمكّنتْ الوزارةُ من إيجاد التّمْويل المُناسب لهذا المشْرُوع الطَّمُوح، فإنَّ من شأنه أنْ يساهمَ في تحْسينٍ ملحوظٍ للْمَهَارَات والكفايات في مَجَال القرَاءَة لَدَى الأجْيال القادمَة.

وَرَغْمَ التَّرَاجُع المَلْحُوظ في نسْبة الأُمّيّة، فإنّها ما فتئَتْ تُساهمُ في تفاقم آثار الهَدْر والفَشَل المَدْرَسي، سَيِّما في المناطق الفقيرة والمناطق الجبلية وفي ضواحي المُدُن الكُبْرى وهوامشها. وفي الواقع « ففي بلد لا تزالُ فيه شريحة كبيرة من المواطنين تعاني من الأمِّية، وحيْثُ فعْلُ القراءة غيرُ معتمد بَعْدُ في السلوك اليَوْميِّ لمعظم المواطنين، وحيثُ لا يزالُ إنتاجُ الكتَاب يُعاني منْ تَدَنِّي عَدَدِ النُّسَخ التي يَتمُّ إصْدارُها، ممّا يَنْجُمُ عنه ارتفاعُ سعْر الكتاب، على الرَّغْم من التّدابير المُتّخَذَة في هذا الشّأن، فإنّ الكتابَ لا يزالُ ترفاً وسِلْعَةً نادرَةً وغيْرَ مُتاحَة لمُعْظَم المواطنين المغاربة»[7].

6 – خلال جلسة الإنصات مع ممَثّل وزارة التربية الوطنية، السيّد محمد شفيقي، بتاريخ 5 يوليوز 2018، أشارَ إلى أنّ أبْرَزَ الأسباب التي أفرزتْها نتائج الدراسة الدولية لتقويم تطوّر الكفايات القرائيّة تتجلّى في:

- انعدام مكتبة مدرسية؛
- 61 من التلاميذ لا يتوفّرون على موارد كافية للقراءة في البيت؛
- الآباء ليسوا قرّاءً كباراً؛
- عدم وجود ملاءمة بين اللّغة-الأمّ ولغة التّدريس والتقويم؛
- غياب حاسوب بالمؤسسة التعليمية؛
- غياب أنشطة قرائيّة في البيت؛
- غياب الإحساس بالأمان بالمؤسسة التعليمية؛
- المستوى التعليمي المتدنّي لآباء وأمهات وأولياء الأمور؛
- غياب المعدات والوسائل الديداكتيكية.

7 - Ahmed Massaia, Un désir de culture, op., cit., p. 147.

الإطار رقم 2: مِنْ نَتائِج بعض البُلدانِ المُشارِكَة في الدِّراسَة الدَّوْليّة 2016

البُلدان العَشْر الأوائل		البُلدانُ العَشْر الأواخِر	
روسيا	581	الإمارات العربية المتحدة	450
سنغافورة	576	البحرين	446
هونغ كونغ	569	قطر	442
إيرلاندا	567	العربية السعودية	430
فنلندا	566	إيران	428
بولونيا	565	عُمان	418
إيرلندا الشمالية	565	الكويت	393
النورويج	559	المغرب	358
تايبيه الصينيّة	559	مصر	330
أنجلترا	559	جنوب أفريقيا	320

المصدر: الدّراسَةُ الدَّوْليّة لتطوّرِ الكفاياتِ القِرائيّة (2016)

الخزاناتُ المدرسيّة، عجْزٌ ينْبغي تدارُكُه

حَسَبَ بَعْض جلسات الإنْصات التي نظّمتْها اللجْنَة، فإنَّ جُزْءاً كبيراً من المَكْتبات والخزَانَات الوَسَائطيّة ومراكز التوثيق داخلَ المُؤسّسات المدْرسيّة والثانوية لا تتوفّر على عُروض قرائيّة كافية لفائدَة الشّباب. وحتّى عندما تكونُ الكُتُبُ موجودة ومتوفّرَة، فإنّه لا يَتمّ اخْتيارُها منْ طَرَف مُشرفين على المكتبات أو تَرْبويّين تَبَعًا لخصائص المَشْروع الوَثَائقيِّ للمُؤسّسَة وَحَاجيّات الشّبَاب؛ كما أنّ التّأطيرَ غالبًا ما يُعاني من نقْص كبير[8]. ثُمَّ أنّ مُعْظَم المَكْتبات المدرسيّة تبْدو مَهْجورَةً، على الرّغم من المذكّرة رقم 156 الصّادرَة بتاريخ 17 نونبر 2011 لوزير التربيّة الوطنية المتعلّقَة بتفعيلِ أدْوارِ المَكْتَبات المَدْرسيّة وَنظام الإعارَة.

في هَذَا السّياق، تُقَدِّم الدّراسَةُ الدَّوْليّة لتطوّر الكفايات القرائيّة (2016) مُؤشّرات تتعلّق بالمَكانَة التي تحتلُّها المَكْتَبَة المدرسيّة داخلَ المدرسة المغربية: ذلكَ أنَّ 9 في المائة فقط منَ المُؤسّسات المَدْرَسيّة هي التي تَكادُ تتوفّرُ على مكتبة تضُمُّ أكثَرَ منْ 500 كتاب، في حين أنَّ 28 في المائة من هذه المُؤسّسات تتَوَفَّرُ على مكتبة تضُمّ 500 كتاب أو أقلّ، في حين أن غالبية المؤسّسات، أيْ 63 في المائة، لا مَكْتبَةَ فيها. علمًا أنّ أحَدَ الدّرُوسِ الرّئيسية المُستفادَة

8 – جلسة الإنصات مع السيّد إدريس اخروز.

مِنْ هذه الدّراسَة الدوليّة هو أنه بالإضافة إلى التأهيل الجيّد لهيْئَة التدريس والإدارة، فإنّ تعلم القراءة في المدرسة له علاقَة، في كثير منَ الأحْيَان، بالوُلوج إلى المَكْتَبَة. وبالنَّظَر إلى الحَالة التي تُوجَدُ عَلَيْها هذه المَكْتَبَاتُ المدرسيَّةُ، فإنّ المجتمعَ المَدَنيَّ في المغرب ما فتئَ يثيرُ انتباهَ المسؤولينَ إلى هذه الوضعيّة المُثيرة للقلق، حيثُ تمّ إرْسالُ عَريضَة في أبريل 2016 موجَّهَة إلى رئيسِ الحُكُومَة مِنْ أَجْلِ فتْحِ وتأهيلِ المكتبات في المؤسّسَات التعليميّة.

لذلك من الضروريّ، في إطار الإصْلاح الجاري للمَنْظُومَة التربويّة في بلادنا، العمل على تعزيز دَوْر الخزانات المَدْرسية، لما لها من تأثير إيجابيٍّ على تمكُّن الأطْفال من القراءة. يتعلق الأمْر إذنْ بإطْلاق ورْش إعادَة تأهيل المَكْتَبَة المَدْرَسيّة، وذَلكَ عبْرَ تزْويدهَا بالكُتُب والوثائق اللازمَة، وتَمْكينها منَ المَوارد الكافية والأُطُر ذات الكفاءَة والحَمَاس الكافييْن. وينبغي أنْ يعْتَمدَ العَمَلُ في مثل هذا الوَرْش عَلَى معاييرَ دوليّة مَتينة في مجال تَنْظيم وتَدْبير الخزانات المدرسيّة.

المُحيط السوسيو-ثقافيّ، من أجْلِ بيئة حاضنة مُتعلِّمَة

في تقريره حوْلَ «أماكن العيْش والفعل الثقافي»[9]، أشارَ المجلسُ الاقتصاديُّ والاجتماعيُّ والبيئيُّ إلى الفَرَاغ الثقافيِّ وإلى غياب فَضَاءات التّنْشيط الثّقافيِّ في أماكن العيْش. ولا بُدّ منَ الإشَارَة إلى أنَّ هذه الأماكنَ ليْسَتْ بالضّرُورَة هيَ أماكنَ الإقامَة فقط، بَلْ هيَ أماكنُ الاستقبال التي يقصدُها النّاسُ كلَّ يوْم للقيام بخدْمَة معيّنَة. يتعلّقُ الأمْرُ بالإدَارَات وأماكن العَمَل والمُسْتَشفيات وَوَسَائل النَّقْل والمَقاهي والأماكن العُمُوميّة، الخ. إنَّ الفراغَ الثّقافيَّ الذي تُعاني منْهُ مُختلفُ أماكن العَيْش ناتجَةٌ عَنْ «غياب مَشْرُوع ثقافيّ وسياسَة تثمِّنُ الإبْداعيّةَ والمُبادَرَة»[10]. وباستثناء بَعْض المُبادَرات، المُشَار إليْها في الفَصْل الثّالث، التي ينْبغي تَعْزيزها، لا يُمكن إلّا أنْ يلاحظَ المرءُ الجهودَ القليلةَ المبذولَةَ في بلادنا، من أَجْل خلْق بيئة اجْتماعيّة قارئَة وَمُتَعلّمة تمكِّنُ منَ الوُلوج إلى حَوامل القراءَة وإلى تكنولوجيا الإعْلام والاتّصال. لذلكَ يتعيّنُ خلْق الشّروط الضّروريّة للتّعلُّم ومُواصَلَة التّعلُّم والإبْداع داخلَ أماكن العَيْش. (انظر الإطار رقم 3).

الإطارُ رقم 3: ما هي البيئَةُ القارئةُ الحاضنَةُ؟

بهَدَف تشجيع الشباب والبالغين على ممارسة مكتسباتهم في مجال القراءة والحساب من أَجْل المُحافظة على مستواهم وتحسينه، فإنّ تطويرَ البيئة الحاضنة لا ينبغي اختزاله في توفير الحوامل، يقترحُ بيتر إيستون[11] أربعة أنواع من الفرص المترابطة لضمان استخدام الكفايات المكتسبة حديثًا، وخلق طلب مستدام على برامج تعلّم القراءة.

9 – أماكنُ العَيْش والفعْلُ الثّقافيّ، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، إحالة ذاتية رقم 10\2013.

10 – نفسه، ص15.

11 - Peter Easton, Sustaining literacy in Africa: Developing a literate environment, 2014, UNESCO. Disponible sur : http://unesdoc.

- الولوج إلى حوامل قرائيّة تتّصل اتّصالاً مباشِرا بمراكزِ اهتمام الأشخاص الحَديثي العَهْد بتعلّم القراءة؛
- توفّر تعليم (وتكوين) مستمر نظاميّ وغير نظاميّ؛
- فرص للقيام بمهام جديدة على نحو مستدام داخل المنظمات والبنيات المُؤسّساتية القائمة؛
- فرص لإطلاق والمساعدة على تسيير أنشطة اقتصادية جديدة مستدامَة، أو مبادرات ذات أهداف غير ربحية، التي تتطلبُ معرفة القراءة والكتابة (إيستون، 2009، ص. 311–312).

وبالنسبة لإيستون، فإنّ «تضافُرَ هذه العوامل الأربعة، وفْقَ أشكال ودرجات تمليها الظروف والخيال البَشَريّ والموارد المتاحة، هيَ التي تشكل «بيئة قرائيّة» حقيقية.

المصدر: *Fostering a culture of reading and writing: Examples of dynamic literate environments*, UNESCO, 2017.

الخزانات العُموميّةُ، ضرورةُ تَعْزيزِ دوْرِها وتَحْسين انْتِشارها

من المعلُوم أنَّ الخزَانات العُمُوميّةَ تلْعَبُ دورًا هامًّا في نشر الكتاب والنّهوض بالقراءة. ذلكَ أنَّهُ بفضْلِ خدماتها ودورها في التّنْشيط الثّقافي وداخِلَ المُجتمع، تُعتبر الخزانة العموميّة نواة هامّة تنتظم حولها الجَمَاعة وَتَدْخُلُ مَعَها في علاقة تفاعُل. وحسب البحثَ الميْدانيّ الذي أنْجَزَتْهُ جمعية «جذور» للتنمية الثقافية في المغرب وإفريقيا[12] فإن 5.84 في المائة منَ المَغارِبَة غيْر مسجَّلينَ في أيّ مكْتَبَةٍ أو خِزَانَةٍ وَسَائطيّةٍ خلالِ السَّنَةِ التي سَبَقَت البحث.

وحسب وزارة الثقافة، فإن المغرب كان يتوفر سنة 2006 على 609 مكتبة عمومية تتوزع على 1.503 جماعة (221 في الوسط الحضري و1.282 في الوسط القروي) لساكنة تبلغ 34 مليون نسمة. ويلاحظ أن من بين 329 من هذه المؤسسات، 21 خزانة وسائطية كبرى في المناطق الجبلية والسجون تعود لوزارة الثقافة[13] التي تتوفر على شَبَكَة للقراءة العموميّة تتكوّنُ من ثلاثة أنواعٍ من الخزانات: الخزانات التراثيّة، وعددها أربعة (في مُدُنِ فاس ومراكش ومكناس وتطوان)، وهي خزانات بمثابَة تراث غنيٍّ ونفيس بالنسبة لتاريخ المغرب؛ الخزانات العموميّة وخزانات المؤسّسات السِّجْنيّة. وبصفة عامّة، وَحَسَبَ دليل الخزانات العُموميّة في المغرب، الذي أنجَزَتْهُ الوزارةُ، تُوجد في بلادنا 609 مكتبة. وفي جُزْءٍ كبيرٍ منْهَا، فإنَّ إنشاء هذه الخزانات تَمَّ بشَرَاكة مَعَ الجَماعَات المَحَلّية وَالجَمْعيّات وَمُؤَسّسَةً مُحَمَّد الخامس لإعادة إدماج السُّجناء. وبالنّظَرِ إلى عَدَدِها وجَوْدة خدماتها، فإنَّ هذه المكْتباتِ هي دُونَ المعاييرِ الدّوْليّة

12 - *Les pratiques culturelles des Marocains, étude réalisée par Aicha Nouri et Mohamed Sammouni, entre le 17 décembre 2015 et le 30 juin 2016, Association Racines, 2017.*

13 – حصيلة 2012–2016

ودونَ حَاجيّات المغرب بكثير. فَضْلاً عنْ أنَّ تَوْزيعَ الخزانات العُمُوميّة غير متساوٍ على مجْمُوعِ التراب الوَطنيّ. كَمَا أنَّ مُعدَّل الكُتُب للفَرْدِ الواحِدِ هو 0.02 كتابٍ في المُتوَسِّطِ. وفي أغلب الأحْيَان، لا تتوفّرُ الخزانَةُ العُمُوميّة على:

- قاعِدَة وثائقيَّةٍ غنيّة ومتجدِّدَة باستمرار؛
- قيّمينَ على الخزانة متحمّسين وذوي مؤهّلاتٍ عاليةٍ؛
- تجهيزاتٍ معلوماتيّة توفّر الرّاحَة للمرتَفِقينَ؛
- وسائلَ معلوماتيّةٍ وموارِدَ رَقْميّةٍ بيداغوجيّةٍ؛
- برامجَ تنشيطٍ مُنتَظِمَةٍ؛
- خُطّةِ عَمَلٍ.

وتتوفّر هذه الشبكةُ من الخزانات على ما مجموعُهُ 1.558.400 عُنْوان، بِسَعَة اسْتقبالٍ تَصِلُ إلى 12.200 مقعد لـ 109.472 منخرطاً. كما يبلُغُ عدد مُسْتَعْمِلي هذه الخزانات 1.067.000 في السّنة، ممّا يُمَثِّلُ 4 في المائة من السّاكنَة المغْربيّة[14]. بالإضافة إلى ذلكَ، تمّ إحْداثُ بَوّابَة إلكترونيّة سنة 2015 باسْم: lecturepublique.minculture.gov.ma ، لتسْهيل عَمَليّة البحْث البيبْلْيُوغْرَافيّ. تحتوي هذه البوّابةُ على أكْثَرَ منْ 40.000 تسجيلة ببليوغرافية يتم تحديثها بشكل منتظم[15]. ومع ذلك، لا يقدّم الدليلُ الذي نَشَرَتْهُ وزارةُ الثّقافة معلومات دقيقةً عن كلّ مكتبة منَ المَكتبات. كما لا يوجد تقريرٌ عنْ نشاطِ المَكْتباتِ العُمُوميّة يسْمَحُ بتقييمِ عَمَلِهَا بناءً على إحْصائيّاتٍ ومؤشّراتٍ للأَدَاء.[16]

كما تُسَاهِمُ المكتبة الوطنية للمملكة المغربية (BNRM) كذلكَ في السّياسَة المُتَعلّقَة بالنُّهُوض بالكتاب وبالقراءة. وتُعدّ هذه المكتبة بالفعل واحدَةً من المؤَسَّسَات المَرْجعيّة في مجال القراءة العُمُوميّة والخزانَات الوَسَائطيّة. فقد بَذَلَتْ المكتبة الوطنيّة جُهُودًا لا يُسْتهانُ بها لتعْزيزِ رَصيدِها الوَثائقيِّ وإبْرَازه بكيفيّة لائقَة. وفي هذَا السّياق قامَتْ برَقْمَنَة أكثر منْ 4.600.000 صَفْحَة من المَخْطُوطات خلالَ الفترة ما بيْن 2012 و2016، مُساهمَةً بذلكَ في إثراء المكتبة الرّقميّة لبلادنا، التي تَضُمُّ أيضًا 550.000 صفحةً رقْميّةً من دَوْريّات ومونوغْرافيّات. من ناحية أخرى، تعد المكتبة الوطنيّة فضاءً للتبادُلِ الثقافي وللقاءات بَيْنَ مُختلف الحَسَاسيّات الفكْريَّة والثقافية[17]، حيث عرفَ الفصْلُ الأوَّلُ من سنة 2017 تنظيمَ أكْثَرَ من 150 نشاطًا ثقافيًا (مُؤتمرات، تقديم كُتُب، أمسيات أدبية وفنية، مَعَارض) [18]. كما بَلَغَ عَدَدُ القُرّاء، خلال موْسم 2017–2018، ما مجموعُهُ 5.536 منخرطًا، منهم 1.348 طالبًا، و3.629 طالبًا في سِلْكِ المَاسْتر

14 – وزارة الثقافة؛ شبكة القراءة بالمغرب.

15 – المصدر: وزارة الثقافة.

16 – تقرير المجلس الأعلى للحسابات برسم سنتيْ 2016 و2017.

17 – جلسة إنصات مع السيد إدريس اخروز.

18 – المصدر: وزارة الثقافة، 2014.

والدُّكتوراه، و559 أستاذاً باحثًا. غيْرَ أنّهُ منذ سنة 2016، لم تَقُم المكتبة الوطنيّة عمليًّا بشراء الكُتُب وَلا بتحْيين الخزانَة الوَسائطيّة. على صعيد آخَرَ، وبالنّظَر إلى النّقْص الّذي تعْرِفُهُ المَكْتباتُ الجامعيّةُ، فإنّ المكتبَةَ الوَطَنيّةَ أصْبَحَتْ تلَّعبُ، شيْئاً فشيئاً، دَوْرَ مكتبةٍ جامعيّةٍ يقومُ فيها الطّلَبَة بمراجَعَة دُرُوسِهم.

ومن بيْن المكتبات المفتوحَة في وجْه العُمُوم، مؤسّسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية. وهي مُؤَسّسَةٌ انطلقتْ منذ 12 يوليُوز 1985، بصفتها جمْعيّةً مغربيّةً غيْرَ رِبْحيّة ذات مَنْفَعَة عُمُوميّة، تعمل على تطوير البُحوث في العُلوم الاجتماعية والإنسانية، مع إعْطاء الأوْلويّة لمنْطقة المغرب العَربيِّ في أبْعادها التاريخيّة والثقافيّة والجُغْرافية والاجتماعيّة. وهكذا، فإنّ خَدَماتها مُوَجَّهَةٌ بالأساس إلى الأساتذة وطلبَة المُؤَسّسات الجَامعيّة والمَعَاهد العُليا المتخصّصَة في الدّراسات العَرَبيّة الإسْلاميّة والعلوم الإنسانية والاجتماعيّة.

إنّ المَكْتبات العُموميّةَ في المغرب تحتاجُ إلى دعْم وتعْزيز، وذلكَ لأنّ الدّوْرَ الذي تلْعَبُهُ هذه المكتباتُ في غاية الأهمّيّة وحاسمٌ في مجال النُّهُوض بالقراءَة ومُحارَبَة الأُمّيّة والجَهْل. وبالتالي فالمكتباتُ هي الفضاءُ المناسبُ بشكل جيّد للنهوض بثقافَة القرَاءَة ولخَلْق بيئة قرائيّة والحفاظ على اسْتدامتها، لأنّ المكتبات توفر فضاءً ملائما وحميميّا لاكتشاف وتثْمين ومُمَارَسَة مختلف الأنشطة القرائيّة. إنّ المَكْتبات بطبيعَتها الدّيمُقراطيّة، تُساعدُ على سدّ النّقْص في مجال الحُصُول على المَعْلُومَة منْ خلال توْفير وُلوج حُرٍّ ومُنْصف إلى وثائقَ ومعلوماتٍ ومَعارفَ مُفيدة (لاسيّما في مجال تكنولوجيا المعلوماتِ والاتّصال والإنترنيت).[19]

المُؤلِفون، فاعلون أساسيون لا بد من دعمهم

في مجال النّشْر على الصّعيد الوَطَنيّ، يُمَثِّلُ النّشْرُ على نَفَقَة المُؤَلِّف (الّذي يَتمُّ بمُبادَرَة من المُؤلفين وَعَلى نفقاتهم) 26 في المائة من الإنْتاج المطبوع. وقدْ أشارَ التقريرُ الأخيرُ (2017–2018)، الصّادرُ عن مؤسّسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانيّة، عنْ وضْعيّة النّشْر والكتاب في المغرب (في مجالات الأدَب والعُلوم الإنسانية الاجتماعية) إلى أنّ عَدَدَ العناوين الصّادرَة بهذه الطريقة 794 عُنوانًا، الأمْرُ الذي يؤدّي إلى تقليص حُظوظ تَوْزيعها على نطاق واسع، حيْثُ إنّ بَعْضَها لا يَتَجاوَزُ مَجالُ انْتشاره مَدينَةَ المُؤلِّف أو دائرَةَ مَعارفه. وفي السّياق ذاته، يُشيرُ اتحادُ كُتّاب المَغرب إلى أنّ العَديدَ منَ المُؤلِّفينَ، بما في ذلك المؤلّفين المُكَرَّسينَ، يَضْطرّونَ إلى إصْدار كُتُبهمْ على حسابهم الخاصّ. وَيُعْتَبَر مُشْكلَ النّشر مَصْدَرَ قَلَق حَقيقيٍّ بالنّسْبَة لَهُمْ، حيْثُ يَجدونَ أنْفُسَهُم مُجْبَرينَ على سَدِّ العجْز الذي تُعاني باقي مُكَوِّنَات سلْسلَة قيمَة الكتاب[20]. ومنْ بيْن الأسْباب التي تعُوقُ عمليّةَ نَشْر الكُتُب في بلادنا، يُشير بعض الفاعلين الذين تم الإنصات إليهم، إلى أنّ مُعْظَمَ النّاشرينَ لا يتوفّرُونَ على مشاريعَ مُسْتقلّةٍ في مجال النّشْر، ولا على الوَسَائل الكَفيلَة بالكَشْف عَن المَوَاهب الشّابّة والتّعْريف بها.

19 – اليونسكو، بانكوك، 2011.

20 – المصدر: اتحاد كُتّاب المغرب.

وبالنسبة لمهنيّي النّشْر، فإنّ الوَسَائلَ الماليَةَ والصُّعُوبَات التِّجَاريّةَ التي تُعاني منْها دُورُ النّشْر، وَقلّةَ الكتابات أو المشاريع الهامّة والمُفيدَة، وَمَعاييرَ اخْتيَار المَخْطُوطات التي لا تأخُذُ في الاعْتبار في كَثير منَ الأحْيان قيمَةَ النُّصُوص المُقَدَّمَة، كُلُّها عَواملُ تُشَكِّلُ مَصْدَرَ قَلَق. أمّا بالنِّسْبَة للْمُؤَلِّفينَ الشَّبَاب، فإنّهُم يُضْطَرّونَ، في غالب الأحْيان، إلى دَفْع كُلْفَة النَّشْر الذّاتيّ (ما بين 10.000 و30.000 درهم لأَلْف نُسْخَة) قبْل رؤية مؤلّفاتهم معْروضَةً في رُفُوف المَكْتَبات[21].

المكتبات، قطاعٌ مهدد بالخَطَر

يُشيرُ المهنيّونَ الذينَ تم الإنصات إليهم[22]، إلى أنّ عَدَدَ المَكْتبات في العاصمَة الاقتصاديّة الدار البيضاء عَرَفَ تراجُعًا كبيراً، حيثُ انتقلَ منْ 65 مكتبة سنة 1987 – وهي السنة التي عرفتْ انطلاقَ المعرض الدّوْليّ للنَّشْر وَالكتَاب – إلى 15 مكتبة سنة 2016. كما أشارَ المهنيّون إلى أنّ واحدَةً منْ أبْرَز المكتبات التي ما زالتْ نشيطةً في الرّباط قدْ تراجَعَ رقْمُ مُعَاملتها السّنوي بنسبة 25 في المائة خلالَ الفتْرَة ما بيْن سَنَتَيْ 2012 و2017. ذلكَ أنّ نشاطَها يعْتَمدُ بشكْل أساسيّ على المَبيعَات خلالَ الدّخول المَدْرَسيّ، والتي تُمَثّلُ 30 في المائة من رقْم مُعاملَتها السَّنَويّ. وَقدْ سَبَقَ لإحْدَى الجَمْعيّات المَغْربيّة العاملَة في مَجَال الثّقافة/ القرَاءَة، أنْ أشارَتْ إلى أنّ المغْربَ كانَ يتوفّرُ، في سنة 2014، على أقلَّ منْ 750 مكْتَبَةً، أيْ مَكْتَبَةٌ واحدَةٌ لكُلّ 42.600 نَسَمَة[23].

يَتَأَثَّرُ نَشَاطُ المَكْتَبَات بشَكْل خاصٍّ بظَاهرَة مُتَناميَة ما فَتئَتْ تَتَطَوّرُ في تَجاهُل للْأَحْكَام القانُونيّة الجَاري بهَا العَمَلُ، والتي تَهُمُّ حَقَّ المِلْكيّة الفكْريّة. يتعلّقُ الأمْرُ بالقرْصَنَة والاستيراد غَيْر القَانُونيّ للْكُتُب وتَسْويقهَا بأثْمنَة زهيدة، منْ خلال دائرَة مُوازيَة غَيْر رَسْميّة. وهذا منْ شأْنه تفسير انْخفَاض القُوّة الشِّرَائيّة التي تعُوقُ اقْتناءَ الكُتُب منْ طَرَف المُوَاطنين، والتي هيَ واحدَةٌ منَ العَقَبَات الّتي تَعْتَرضُ النُّهُوض بالقرَاءَة في بلادنَا.

وَيُشيرُ المهْنيُّون إلى مَسْألة غياب الدَّعْم المتعلّق بأنْشطتهم، سواءٌ منْ طَرَف الدّوْلَة أو منْ طَرَف الجماعات التُّرابيّة. لذلك بَاتَ منَ الضَّروريّ إيلاء الأهَمّيّة لهذا الوَضْع قصْدَ تَشْجيع هذه الأنْشطَة وَمُساعَدَة المهْنيّين على حمَايَة مَكْتباتهم وتجديدها. إن تقديم الدّعم للمكتبات هو في الوَقْت نفْسه دعْم للنَّشْر وتعزيزٌ لشَبكَة القراءة في بلدنا.

دُورُ النّشْر، إنْتاجٌ متواضِعٌ

وَقَد اسْتفادَ، برَسْم سَنَة 2018، ما مَجْموعُهُ 552 مشروعًا من أصل 943 ملفًّا قُدِّمَ للدَّعْم، بمَبْلَغ إجْماليٍّ قَدْرُهُ 9 ملايين درهم. كما تَجْدُرُ الإشارَة إلى أنّ بَرْنامَجَ دَعْم الكُتُب، الذي انْطلقَ سنة 2014، حَدَّدَ هدَفًا لَهُ توْفيرُ الدّعْم للْمشَاريع الثقافيّة في مَجَال الكتَاب، وَمُصاحبَةُ قطَاع النَّشْر

21 - *Aujourd'hui le Maroc, 2017, Editer son livre au Maroc: le parcours du combattant, M'Hamed Hamrouch.*

22 – جلسة إنصات مع السيد عبد القادر الرتناني، مدير مكتبة « Le Carrefour des Livres »، والسيدة إلهام الزهيري، المشرفة على «مطبعة المعارف الجديدة»، والسيد فوزي السلاوي «مكتبة خدمة الكتاب»، والسيد حمودة بوغالب، مدير عام «مجموعة مكتبة المدارس» ، بتاريخ 29 مارس 2018.

23 – جمعية «جذور» للتنمية الثقافية بالمغرب وإفريقيا.

في بلادنا، وَكَذا تعزيزُ مَنْشُورات وكُتُب المُؤَلِّفين المغاربة، إضافَةً إلى مُواكَبَة صنَاعَة الكتَاب والنّشْر، والمُساهَمَة في جَعْل الكتَاب مُتاحًا للْجَميع. وقد كشفَتْ عَمَليّةُ فَحْص لعَيِّنَة منْ ملَفّات بَعْض المُسْتفيدين من الدّعم أنّ الوزارةَ لمْ تَنُصّ على الإجراءات المتعلقة بتتبّع مدى الالتزام بتطْبيق البُنُود المَنْصُوص عليها في عُقُود الاستفادَة من الدّعم، ولا على العُقوبات المُتَرَتِّبَة عَنْ عَدَم تَطْبيقها[24]. علاوَةً على أنّ هذه العُقُودَ لا تَتَضَمَّنُ آلياتٍ كفيلَةٍ بضَمان طباعَة عدَد النُّسَخ المتّفق عليها وتوْزيعها.

وَتَجْدُرُ الإشارَةُ إلى أنّ الوزارَةَ الوَصيّة قدْ نَظّمَتْ، سنة 2016، طلبات العُرُوض الخاصّة بالمشاريع الثقافيّة في مجال النّشْر والكتاب، في دَوْرَتَيْن: الأولى بين 21 دجنبر 2015 و21 يناير 2016، مع الإعلان عن النتائج في 8 فبراير 2016، والثانية بين 21 أبريل 2016 و16 ماي 2016، مع إعْلان النّتائج في 30 ماي 2016. وإذا كانَتْ هذه العملية السنوية لدعم مختلف المشاريع في مجال النشر والكتاب والقراءة تُعتبَرُ مُبادَرَةً هامَّةً في حَدِّ ذاتها، فإنّ الميزانيةَ المُخَصَّصَةَ لها ضَعيفةٌ بالقياس إلى الحاجيات، وبالتّالي سَيَكُونُ منَ المُناسب تخصيصُ مَزيدٍ من المَوارد واعْتمادُ مُؤَشِّرَاتٍ للتَتَبُّع وَقياس الأَداء.

ويُشيرُ مهْنيّو القطاع إلى أنّ هناك 60 دارًا للنَّشْر في المغرب منْها حوالَيْ 20 داراً تُزاولُ نشاطَها بكيفيّة مُنْتَظمَة، وتنشر ما لا يقلّ عن 15 عنواناً سنوياً. ولا زالَ أغلب النّاشرينَ يتمرْكَزُون في المحْوَر المُمْتَدّ بيْن مدينتيْ الرباط والدار البيضاء، وذلك بنسبة 63.45 في المائة. إلّا أنّ هُناكَ بوادر انْتشار لحَرَكَة النّشر عبْرَ التُّراب الوطني، غير أنّ هذه الحرَكَة تبرُزُ بكيفيّة أكبر على مستوى الجهة الشّمالية (طنجة، تطوان، الحسيمة)، إذْ يُساهم الناشرون في هذه الجهة بما مُعَدَّلُهُ 12.10 في المائة، وعلى مُسْتوى جهة فاس - مكناس بنِسْبَة 10 في المائة[25]. وَتَجْدُرُ الإشارَةُ إلى أنّ المَغْربَ ينشر سنويا أقلّ منْ 3.000 كتاب جديد، في حين أنّ لبنان (4 ملايين نسمة) ينشر 4.000 كتاب، بيْنما تَنْشُرُ فرنسا أَكْثَرَ منْ 68.000 عنوانٍ جديد كُلَّ سَنَة (2016)؛ ومع ذلك، فقدْ اعْتُبِرَتْ سنة 2018 سَنَةً سَوْدَاءَ بالنِّسْبَة للمَكْتَبات وَلمَبيعات الكُتُب[26].

كَمَا أَنَّ نسْبة سَحْب الكُتُب المَنْشُورَة ما زالَتْ مُتَواضعَة، حَيْثُ يُشيرُ مهنيُّو النّشْر الّذينَ جرى الإنصات إليْهم إلى أنّ مُتَوَسِّطَ السّحب تراجَع منْ 2.000 نُسْخَة مُنْذُ بضْع سَنَوات إلى 550 نُسْخَةً اليَوْمَ. وغالباً ما يقْتَصرُ النَّشْرُ على إصْدار طَبْعَة واحدَة فَقَط. علاوَةً على أنّ 20 في المائة منَ العَناوين المَنْشُورَة لمْ تَحْصُلْ على رقْم الإيداع القانونيّ، و25 في المائة من الكُتُب تُطْبَعُ على نَفَقَة المُؤَلِّف. وهي وضْعيّةٌ ما فَتئَتْ مُستمرَّةً على الرَّغْم منْ مُبادَرَة وزارة الثّقافة بتَخْصيص ميزانيّة سَنَويّة لدَعْم النّشْر والكتَاب. وللْإشَارَة فإنّ الوزارَةَ، خلالَ الفَتْرَة ما بيْنَ سَنَتَيْ 2016 و2017، قامَتْ بدَعْم 423 عنواناً.

24 – تقرير المجلس الأعلى للحسابات برسم سنتي 2016 و2017.

25 – مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، التقرير السنوي عن وضعية النشر والكتاب في المغرب 2018–2017.

26 – هناك العديد من الأسباب منها: كأس العالم لكرة القدم، حرارة فصل الصيف، الدّخُول الأدبي 2018، الحركة الاحتجاجية للسترات الصّفراء». الأمازون الذي يصمّم كل شيء المكتبات التي لم تعد تشتري الكتب؛ «نيتْفْليكْسْ» الذي يجعل الجمهور مدمنا على المسلسلات التلفزيونية. انظر: العمود الصحفي للكاتب ميشال غويرين بجريدة «لوموند» الفرنسية، 28 décembre 2018 ,*Le roman souffre, la bande dessinée resplendit, Le Monde*, Michel Guerrin.

كما تَجْدُرُ الإشارَةُ في هذا الصَّدَد إلى أنَّ كُلِّيّةَ الآداب والعُلوم الإنْسانيّة عيْن الشُّقِّ بمدينَة الدار البيضاء تُسَلِّمُ إجازَةً مِهْنيّةً مُتَخَصِّصَةً في مِهَن الكتاب. وَهُوَ تكْوينٌ في حاجَة إلى تَعْزيز، كما تُشيرُ إلى ذلكَ تَوْصياتُ المِهْنيّين[27]. وبالتّالي لا بُدَّ مِنْ تَشْجيعِ وَدَعْم إحداث مَسالكَ وتكْوينات في الجامعات وَمُؤَسَّسات التَّعْليم العالي. وَمِنْ بيْن الجوانب التي تَحْتاجُ إلى مُقارَبَة مِهْنيّة الاعْتمادُ على دِراسات وأبْحاث مَيْدانيّة مِنْ أجْل تَحْليل مَراكز اهْتمام الجُمْهور الواسع في مجال القِراءَة. وَهَذِهِ المُقارَبَةُ ضَرُورِيَّةٌ قَصْدَ مُلاءَمَة العَرْض مَعَ الطَّلَب، وبالتّالي تَوْسيع سُوق الكتاب.

كما أنّ الأزْمَةَ التي يُعاني مِنْها قطاعُ النّشْر هي كذلكَ أزْمَةُ إنْتاج وإبْداع: ذلك أنّ 80 في المائة من الأعمال التي تُقَدَّمُ إلى دُور النشر في بلادنا هيَ في الأصْل عبارَةٌ عنْ أُطروحات جامعية. كما أنّه بالنسبة لبعض أنواع الكُتُب، مثل الروايات البوليسيّة والقصص المُصَوَّرَة، لا يكادُ يوجَدُ إنتاجٌ وطنيٌّ، وخاصّة باللغة العربية. وبالتالي، لا تجد بعضُ الفئات مِنَ القُرّاء المُحْتَمَلينَ (كالأطْفال والمُراهقين) عرْضًا مغربيًا مناسباً لَها. علْماً أنَّ المَغْرِبَ، بتاريخه وتُراثه وبيئته الطّبيعيّة، بإمكانه إنْتاجَ العَديد من الإبداعات الأدبيّة والفنّيّة والثقافيّة، التي يُمْكنُ التّعْبيرُ عنْها بواسطَة كتاب أو حامل آخَرَ مكتوب (كالحامل الرَّقْميّ على وَجْه الخُصُوص). وعليْه، فإنّ هذا النّقْصَ على مُستوى الإنْتاج والإبْداع يؤثرُ، في نهَايَة المَطاف، على انتقال القيم الثقافية والاجتماعية الوطنية بيْنَ الأجيال. إنّ هذا الفراغَ يتمُّ تعويضُهُ في بعْض الأحيان بإنْتاج أجنبي ينقل أفكارا ومفاهيم لا تتلاءَمُ مع المَوروث المغربيِّ. وهو ما تقومُ به، على سبيل المِثال، الكتاباتُ التي تتناوَلُ القَضايا الدّينيّة بكيْفيّة مُتشَدِّدَة وغير مُتسامحَة.

التّنْشيطُ الثّقافيّ، المؤلفون والكتب عناصر لا تحظى بالتثمين الكافي

يتضَمَّنُ التنْشيطُ الثقافيّ مُختلف المُبادَرات التي تهدف إلى تَعْبئَة الأفراد والْجَماعات من أجْل إعادَة تَمَلُّك مُحيطهم السُّوسْيُو- ثقافيّ ونُشْدان الابْتكَار والتّحَوُّل. وإذا كانت العَمليّات الثقافية تشْهَدُ تَزايُداً ملحوظاً في بَعْض مُدُن المَمْلَكَة، فهي لا تكُون دائماً مُوَجَّهَةً نحو القراءة. كما أنّ تدخُّلَ الجماعات التُّرابيّة يظَلّ محدوداً في هذا المجال، وذلكَ على الرّغْم من الإمْكانات الثقافيّة الكبرى التي تتوفَّرُ عَليْهَا. وَمِنْ ثمّ، فإنَّ العمل الثقافي غالبا ما يَكُونُ ملتبسًا أوْ مُقْتَصراً على تنظيم المهرجانات الثقافية، على غرار المِهْرَجانات المُوسيقيّة والفنّيّة. إنّ هذه الأخيرةَ هيَ شَكْلُ التَّدَخُّل الثّقافيِّ الرّئيسيِّ للجَماعَات التُّرابيّة.

كما أنّ قراءَة الصحافة المكتوبة تُعدُّ مظهراً آخرَ مِنْ مَظاهر النُّهُوض بالقراءة، وذلك من أجْل الحُصُول عَلى المَعْلُومات والتعلُّم وَتَثْقيف النَّفْس والتّرْويح عَنْهَا. وفي المغرب، لم تسْلَم الصّحافةُ المكتوبَةُ بدوْرِهَا مِنْ أزْمَة القراءَة، حَيْثُ تُؤَكِّدُ الأرْقامُ الصّادرَةُ مُؤَخَّراً عَنْ مَكْتَب مُراقبَة تَوْزيع الصُّحُف (OJD) التَّراجُعَ المَطَّردَ لمَبيعات الصُّحُف المَكْتُوبَة. ويُسَجَّل هذا التراجُعُ على الرَّغْم مِنْ الدَّعْم الذي تقدِّمُهُ الدّوْلَةُ للمقاولات الصّحافيّة، في إطار العَقْد-البَرْنامَج ذي الصِّلَة، ممَّا يَدْعُو إلى التّساؤُل حَوْلَ النَّموذَج الاقْتصَاديِّ المُعْتَمَد في هذا القطاع.

27 – مِنْ بَيْن المَصُوغات التي يتمّ تدريسُها خلال سنتيْ التّكوين، يُمكن أن نذكر: مدخَل إلى البيئة المهنية، تنظيم الفضاءات، تدبير الوثائق، المكتبة، الخزانَة، النشر، الإعلاميات المهنيّة، الإنتاج.

وَمِنَ المُؤَكَّد أنَّ هذا التَّراجُعَ الذي تعيشُهُ الصّحافةُ المكتوبَةُ يُعْتَبَرُ ظاهِرَةً دولية تشهدها العديد من البلدان. ويُعزى ذلكَ، في جانبٍ منْهُ، إلى ظهورِ التكنولوجيا الرَّقمية والمُنافَسَة التي باتَ يُشَكِّلُها الإنترنيتُ والصّحَافَة الإلكترونية. ومع ذلك، فإنّ مُؤَشِّرات قراءَة الصّحَافَة في المغرب هي أقلُّ بكَثيرٍ منَ المَعاييرِ الدَّوْلِيَّةِ. فَحَسَبَ الجَمْعِيّة الدّوْلِيّة للصُّحُف وناشِري الأخْبارِ (WAN-IFRA)، فإنَّ مُعَدَّلَ توْزيعِ الصُّحُفِ في المَغْرِبِ لا يتعدّى 12 نُسْخَة لكل 1.000 مواطن، مقابلَ 50 نُسْخَةً لكُلِّ 1.000 مُواطنٍ في بُلدانٍ مِثْلِ تونس والجزائر ومصر ولبنان وتركيا. بالمقابل، يَبْلُغُ هذا المعدّلُ 500 نُسْخَةٍ لكُلِّ 1.000 مُواطِنٍ في سَنْغافورَة وفِنْلَندا واليابان.[28]

وتُعَدُّ وسائل الإعلام من أهم الأدوات وأنجعها لتَرْسيخِ ثقافَة القراءَة، حيْثُ تُعْتَبَرُ الصُّحُفُ ومَحَطّاتُ الإذاعَة والتّلفزيون ووَسائطُ التّواصُل الاجْتماعيِّ الجَديدةُ وَسَائلَ يتعيّنُ اسْتثْمارها منْ أجْلِ نَشْرِ المنَتُوجِ الثّقافيِّ على النَّحْوِ الأمْثَلِ. وتَضْطَلِعُ هذه الوسائطُ بدوْرٍ ما فَتِئَتْ تزدادُ أهَمِّيَّتُه، سَيِّمَا مُنْذُ الطَّفْرَة التي شَهِدَتْها الطُّرُقُ السّيّارَةُ للمَعْلُومَات والتّكنولوجيات الجديدة التي أصبحتْ في طليعة الدّعامات التي تَرْتَكِزُ عليْها الهيئاتُ العاملةُ في الحقلِ السَّمْعيِّ والبصَريِّ كأدواتٍ للتكوينِ والنَّشْرِ والتّرْويجِ بشكلٍ عامٍّ.

وإذا كانَ التلفزيونُ يُعَدُّ، بلا شكٍّ، أفْضَلَ وسيلة لنشْرِ ثقافة القراءة، فإنّ دوْرَ هذا الجهاز لا يزالُ للأسَف مُحْتشمًا للغايَة إنْ لَمْ نَقُلْ غيْرَ فعَّالٍ داخلَ المَشْهَد الإعلاميّ. ومنَ المُؤَكَّد أنه قد بُذلَتْ جهودٌ خلالَ السّنوات الأخيرَة منْ أجْلِ تعزيزِ حُضُورِ المَضامين الثقافية في المشْهَد السّمْعيّ البصَريّ. فقد أصبحت بعضُ القنوات التلفزيونية تُخَصِّصُ مَساحةً أكْبَرَ للأنْشطة الثقافية ضمْنَ شبكة برامجها. كما بدأت البرامجُ التي يُعِدُّها الشّبابُ والمُوَجَّهَةُ للشباب تتزايدُ على شاشَات التلفزيون لتقدِّمَ صُورةً إيجابيّةً عن دينامية التغيير التي تَشْهَدُها بلادُنا. وهناك العديدُ منَ البرامج، الناجحة إلى حَدٍّ ما، منَ قَبيلِ «صَدَى الإبْداع»، الذي يقدِّمُهُ كُلٌّ من محمد شويكة وعبد الحقّ نجيب ومريم خليل، وبرنامج «مشارف» الذي يُعِدُّهُ عدنان ياسين في القناة الأولى؛ ثمّ المجلّات الثقافية التي تقدّمُها المحطاتُ الإذاعيّةُ، بما في ذلك مجلة الثقافات، في ميدي 1، ومجلة «حبْرٌ وقَلَمٌ»، على أمْواج الإذاعَة الوطنية؛ وكلُّها برامجُ ثقافيّةٌ ناجحَةٌ، لكنّها تبقى غيْرَ كافية لتعزيزِ الوعْيِ بأهَمِّيّة القراءة وتشْجيعها. ومن ثَمَّ، فإنّ الجُهُودَ المَبْذولَةَ ينْبَغي مواصَلَتُها منْ أجْلِ إعْطاءِ القراءَة والنّهوضِ بها مكانَةً ذاتَ أوْلَويّة داخل المَشْهَد السَّمْعيّ البَصَريّ المَغْرِبيّ.

الجوائز المُخَصَّصَة للكتاب، نقْص على مستوى العدد والصّنف

في المغْرب، لا يمكنُ للمَرْءِ إلاَّ أنْ يلاحظَ قلَّةَ الجَوَائزِ المُخَصَّصَة للكتاب. فعلى المستوى المُؤَسّساتيِّ، هناكَ جائزةٌ واحدَةٌ فقط تُشَكِّلُ مَوْعداً سَنَوياً، يتمُّ الاحتفالُ به في الأوْسَاط الثَّقافيّة المَغْرِبيّة، كما يُعَدُّ مُناسبةً للحفاظ على الكتَاب المَغْربيِّ. ويتعلّقُ الأمْرُ بجائزة المغرب للكتاب، وهي جائزةٌ أدبيّةٌ تَمَّ إحداثُها في 27 شتنبر 1962، حيْثُ أصْبَحَت الأداةَ الرّئيسيّةَ لنشْرِ

28 – http://www.wan-ifra.org/fr/press

الكتاب ودَعْمه. وفي هذا الصّدَد، تشمل نسخة 2018 من هذه الجائزة الحُقُولَ التّاليةَ: العُلوم الإنسانية والاجتماعيّة، والدّراسات الأدبية والفنية واللسانية، والشِّعْر والسّرْديّات والمحكيات (الرّواية والتّاريخ والمَسْرَح)، والترجمة، والإبْدَاع الأدبي الأمازيغيّ، والدّراسات في مجال الثقافة الأمازيغيّة، وكُتُب الأطفال والشباب.

وفي أواخر سنة 2018[29] صدر مرسوم أعلنت عنه وزارة الثقافة لمنح جوائز تكريمية لصالح الشخصيات التي أسْهَمَتْ في إغْناء الرَّصيد الثّقافيّ الوطني على مستوى مختلف أَوْجُه الثقافة المغْربية وفي التعريف بها على الصعيد الوَطني والدولي، كما تمنح الجوائز للشَّخْصيات التي ساهَمَتْ في إغْناء الرَّصيد الوَطَنيّ في إطار تظاهرات ثقافية تنظمها وتدعمها وزارة الثّقافة.

وفي هذا السّياق أيْضًا، على سبيل المثال، يسَاهِمُ فندق المامونية في مراكش، منذ شتنبر 2010، في تعْزيز إشْعاع الكتاب المغْربيّ على المُسْتويَيْن الوَطَنيِّ والدّوْلي، مِنْ خلال مَنْحه جائزةً سَنَويّةً تهدف إلى تَرْويج الكتَاب باللغة الفرنسية، حيثُ تتكوّنُ لجنةُ تحكيم هذه الجائزة من سَبْع شخصيات من الوَسَط الأدبي العالمي. وقدْ فازت الرِّوَائيّةُ والصّحافيّةُ المَغْربيَّةُ ليلى سليماني بالجائزة في دوْرَتها السّادسة عنْ روايتها التي تحْملُ عنوانَ «في حديقة الغول».

وبالتّالي، فإنَّ العَدَدَ الضّعيف للجوائز، فَضْلًا عنْ وتيرَتها، لا يُشَجِّعانِ على النّهوض بالقراءَة ولا الكتابَة.

مَعْرِضٌ دَوْلِيٌّ للنّشْر والكتاب يحتاجُ إلى إعادَةِ التفكير فيه

يعدُّ المعرضُ الدوليُّ للنشر والكتاب، الذي نظِّم لأول مرة في سنة 1987، حدثاً يروم الترويج للكتاب والقراءة، فضلاً عن تنمية التنشيط الثقافي. ويُعتبر هذا الحَدَثُ الهامُّ فُرْصَةً للجُمْهور المَغْرِبيّ مِنْ أجْلِ الاطّلاع على أَحْدَث الإصدارات والالتقاء بمؤلِّفي الكُتُب، كما يُعَدُّ مناسبةً للكُتَّاب والقرَّاء للقاء والتواصل المُباشر. وكان هذا المعرض ينظم في البداية كل سنتين، قبل أن يتحول منذ سنة 2004 إلى موْعد سَنَوِيٍّ. وقد سجّلَ عددُ زُوَار المَعْرض ارتفاعاً استثنائيًا في 2018، بلغَ حوالَيْ 62 في المائةً مُقارَنَةً بسنة 2017. ونوردُ في الجَدْوَل التالي مُعْطياتٍ تَعْكِسُ هذا التطوُّر.

السّنة	عَدَدُ زُوارِ المَعْرِضِ الدّوْلِيّ للنّشْرِ والكِتَابِ
2015	340.000
2016	370.000
2017	345.000
2018	510.000
2019	560.000

29 – المرسوم رقم 2.17.514، الصادر في 5 صفر 1440 (15 أكتوبر 2018) التعلّق بمنح جوائز تكريميّة في مختلف مجالات الإبداع الأدبي والفني.

وبالإمْكانِ تعزيزُ نجاحِ المعرض الدولي للنشر والكتاب إذا ما نجَحَ مُنَظِّمُوهُ في جعْلِه منتدًى سنوياً حقيقياً للتبادُلِ والنهوضِ الفعْليِّ بالقراءة؛ ومن ثَمَّ سيكونُ مناسَبَةً لتداوُلِ الكتابِ وغيْرِه مِنْ دَعاماتِ القراءة، كما سيُمَكِّنُ الكُتّابَ من الاقترابِ من أكبَرِ عَدَدٍ مُمْكِنٍ من القُرّاء. ومع ذلك، وعلى الرّغْمِ من هذا النجاحِ الملْموس، فإنّ وضْعيةَ الكتابِ لم تتحسّنْ. وفي الواقعِ، فحتّى الترويجُ للمَعْرِضِ الدّوْليّ للنّشرِ والكتابِ يبقى ضعيفاً. لذلك، بُوسْعِ هذا الحدثِ الثّقافيِّ الهامِّ أنْ يُدَعِّمَ الجُهودَ الرّاميةَ إلى النُّهُوضِ بالكتابِ والثقافة إذا ما تَمَّ اتّخاذُ بَعْضِ التّدابيرِ، لاسَيِّما ما يلي:

- تخصيصُ فضاءٍ أكْثَرِ حداثةً وجاذِبيّةً يوفّر المَزيدَ من وَسَائلِ الرَّاحَةِ للزُّوار؛
- إرساءُ تدبيرٍ أكْثَرِ فعّاليةً يَرْتَكِزُ على مُعطياتٍ دقيقةٍ وأهدافٍ مُسَطَّرَةٍ ومُؤَشّراتٍ للأداء؛
- الاسْتعانَةُ بشكْلٍ مُنْتظِمٍ بالبُحُوثِ الميْدانيةِ والدراسات، من أجل فهْمِ انْتظاراتِ الجُمْهورِ ومِهَنِيِّي النشر؛
- العَمَلُ على الانْتقاءِ الدّقيقِ للعَارِضينَ، انسجامًا مع الأهداف المُحَدَّدَة لكلّ دوْرَةٍ؛
- اعْتمادُ بيداغوجيا ملائمة للمؤسّساتِ التعليمية والأطْفال، مع الحِرْصِ على توفيرِ التّأطيرِ المُناسِبِ.

لا بُدَّ من الإشارَةِ إلى أنَّ عَرْضَ مُختلف العَمَليّات والمُبادَرَات المُتَّخَذَة للنُّهوضِ بالقرَاءَة، على المستوى الوطني والجِهَوِيّ والمَحَلِّي، ليْسَ عَرْضًا شاملًا وكاملًا، بقَدْرِ ما يسْمَحُ فقط بتَسْليطِ الضّوْءِ على الجُهُودِ التي يَبْذُلُها مُخْتَلَفُ الفاعلينَ، والتّعَرُّفِ على النتائجِ تَمّ تحقيقها، إضافَةً إلى الإكراهاتِ المَوْجُودَة.

مبادراتٌ لا يُستهان بها للنهوض بالقراءَةِ، لكنّها تظلّ غيْر كافية

يتم عرض الإجراءات والمبادرات الرئيسية المتخذة للنهوض بالقراءة ، على المستوى الوطني والإقليمي والمحلي ، بطريقة غير شاملة، ولكنها تتيح توضيح الجهود التي يبذلها مختلف الفاعلين ومعرفة النتائج التي تم الحصول عليها وكذلك القيود القائمة.

لا يُمكن لأحَدٍ أنْ يُنْكِرَ الجُهودَ الكبيرةَ التي يبْذلُها المغربُ على مستوى الوُلوج إلى القراءَة، لا سيَّما انطلاقاً من سنوات 2000، والتي شَمَلَتْ على سَبيلِ المِثَالِ بناءَ المَكْتباتِ العُمُومية والتراثية والوطنية، بالإضافة إلى المتاحف والمَسارِحِ الكُبْرى والمُرَكَّباتِ الثقافيّة والمَكْتباتِ الوَسَائطِيّة. وتُعَدُّ هذه المؤسّساتُ جزءًا لا يتجَزَّأُ مِنْ سياساتِ الدولة، حيث يَتمُّ تَدْبيرها مِنْ قِبَلِ وزارة الثقافة، بالتعاوُنِ مع قطاعات وزاريّة أخرى والجماعات المحلية. وهناك أيضاً أشكالٌ أخرى للشّراكَةِ تُدْمِجُ بشَكْلٍ مُتَزايِدٍ المُبادَراتِ الثّقافيةَ في سياقِ المَشاريعِ الحَضَرِيّةِ الكُبْرى.

ونذْكُرُ هنا على سبيل المثال تنظيمَ الأنشطة الثقافية المَحَلّية، وإحْداثَ المُؤَسّسَات الثقافيّة وتدْبيرَها وتفْعيلَ القوانين المُنَظِّمَة لمَجال الحفَاظ على التُّرَاث الثّقافيِّ، والتعاوُنَ في مجال تَرْميم التُّرَاث الثّقافيّ والحفَاظ علَيْه وإعادَة تأهيله.

وتضطلعُ المعاهدُ والمراكزُ الثقافيةُ والتمثيليّاتُ الدبلوماسيّةُ بدَوْرٍ هامٍّ في تعزيز الولوج إلى اللغات وأنشطة الترفيه الثقافي والقراءة. بيد أنّ أنشطتها تقتصر على المُدُن الكبرى. وهكذا، فإنّ المعهدَ الفرنسيَّ موجودٌ في 12 مدينة، ويوفر في كُلِّ مَوْقعٍ مِنْ مواقعِه وَسَائلَ هامّة للنُّهوض بالثقافة والقراءة، من خلال مُخْتلف الحوامل[30].

كما أتاحَ التعاوُنُ بين المغرب وفرنسا إطلاقَ «مَشْروع دَعْم القراءة العُمُومية» في بداية سنوات 2000، بفضْل صندوق التضامن ذي الأولويّة.[31] وهكذا، تَمَّ افتتاحُ عشرين مكتبة وَسَائطيّة في المراكز الكبرى للجهات، منْ أجل النُّهُوض بالمواقع الثقافية للقرب. وفضلاً عن ذلك، شرعت وزارة الثقافة، منذ 2012، في بناء فَضَاءات ثقافيّة وَتَرْفيهيّة وفضاءات مُخَصَّصَة للقرَاءة لفائدَة الشّبابِ في العَديد من المُدُنِ والجمَاعاتِ القَرَويَّة.

لا يمكن للبنْيات التّحتية الثقافية المتوفِّرَة، التي تُساهمُ بكيْفيّة لا يُسْتهانُ بها، أنْ تَزْعُمَ تلْبية جميع الحاجيات؛ ذلكَ أنّ عرض الخدمات التي تقدَّمها لا يستجيبُ للتحوّلات ولانْتظارات المواطنين. لذلك من الضّروريّ توفير عروض خدمات جديدة، بشَرَاكَة مَعَ الجَمْعيّات والمُجتمع المدني، قَصْدَ تشجيع المواطنين على المشاركة في هذه الخدمات من خلال مجموعَة من الأنْشطَة (عَرْض الأفْلام، الدّعم المدرسيّ، البحث عن شُغل، إلخ).

مبادراتُ وزارة التربية الوطنيّة والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي

أطلقتْ وزارةُ التربية الوطنية مشروعَ «القراءَةُ منْ أجْلِ النّجاح»، ساهمتْ في إنجازِه الجامعَةُ المغربيّةُ والبحثُ العلميُّ. وقَدْ عملَ مختبرُ العلومِ المعرفيّة، التّابعِ لجامعة سيدي محمد بن عبد الله بمدينة فاس، بشكْل أساسيٍّ على تصميم أدوات جديدة تساعدُ على وَضْع برامجَ للْقراءة يُمْكنُها أنْ تُفيدَ إصْلاحَ منظومَة التّربية والتّكوين. وقد أنتجَ هذا المُخْتَبَرُ في مَجَال القراءَة على وَجْه الخُصُوص، أُطْرُوحَتيْن جامعيتيْن وثلاثَ دراسات. طَوّرَتْ إحدى الأطْرُوحات مُعادَلَةً رياضيّةً تَقيسُ قابليَّةَ قراءة وتَعْقيد النّصِّ المَدْرَسيِّ باللغة العربية. تتَجَلّى أَهَمِّيَّةُ هذا النّوْع من البُحُوث في تمْكين واضعي المَناهج المَدْرَسيّة والفاعلينَ في مجال التّعْليم منْ امْتلاك الأدَوَات العِلْميّة التي يُمْكنُ أنْ تكونَ مُفيدةً في مَجَال تعْزيز القِرَاءَة.

30 – جلسة الإنصات التي عقدت في 4 أكتوبر 2018 مع السيد إدريس خروز

31 – صندوق التضامن ذو الأولوية (FSP) هو برنامج للدعم العمومي من أجل التنمية تتولى تنفيذه وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية ويهدف إلى تمويل المشاريع أو البرامج التنموية في المجالات المؤسسية والاجتماعية والثقافية وذات الصلة بمجال البحث، في البلدان المنتمية إلى «منطقة التضامن ذات الأولوية» والتي تضم نحو 60 بلداً من أقل البلدان نمواً من حيث الدخل وغير القادرة على الولوج إلى أسواق الرساميل والتي يقع معظمها في إفريقيا ومنطقة الكاريبي. وتنتمي البلدان المغاربية إلى هذه المنطقة منذ 2001. ويركز هذا البرنامج على دعم المشاريع القائمة على مقاربة تشاركية والممتدة على سنوات متعددة والمستجيبة لسياسة الصالح العام.

وفي إطارِ مشروع القراءة من أجل النّجاح، فإنّ تَجْربَةً أولَى انْطَلَقَتْ ما بيْنَ سَنَتَيْ 2015 و2017، لفائدة المستويين الأوّل والثاني ابتدائيّ في 90 مؤسَّسَة للتعليم الابتدائي. ومكّن المشروعُ من تجْديد المَناهج والكُتُب المَدْرسيّة، كما مَكّنَ منْ تنظيم العديد من الدورات التكوينية. وبالنظر إلى النتائج المُرْضيةُ التي أسفرت عنها هذه التجربة، فسيتم تعميمها خلال الموسم الدراسي 2018-2019. وبالإضافة إلى ذلك، ستوسِّعُ الوزارة الوصية نطاق المشروع ليشمل المستويين الثالث والرابع من التعليم الابتدائي.

علاوة على ذلك، انخرطت الوزارة في مشروع «تحدّي القراءة العَرَبيّ»، وهي مبادرةٌ تهدفُ إلى تنمية حُبِّ القراءة لدى جيل الأطفال والشباب في العالم العربي. وبفضل الإمْكانيّات المالية المهمّة التي رُصِدتْ لهذه المُبادَرَة الرّاميَة إلى تشجيع القراءة، فإنّها تستهدفُ المدارسَ والجامعات لتحفيزها على الانضمام إلى المَشْروعِ والمُشاركة في المسابقة. وقد وضَعَ المُشْرفُونَ على هذا المشروع التحدّي المتمثل في تشجيعِ مليون طفل وشابّ على قراءة 50 كتابًا خلال كلِّ مَوْسِمٍ دِراسيّ. وفي سنة 2018، فازت الطّفلة المَغْربيّة مريم أمجون، البالغة من العُمْرِ تسع سنوات، بالجائزة التي تُمْنَحُ في إطار مشروع تحدّي القراءة العربي. وتم تنظيم هذه المسابقة في مجال القراءة في العديد من الدُّول لانتقاء المُرَشّحين من أجل المشاركة في المرحلة النهائية للجائزة في دبي بالإمارات العربية المتحدة. وكانت التّلْميذة المُتَوَّجَة بالجائزة قدْ نَجَحَتْ في قراءة وتلخيص محتوى 50 كتابًا في إطار المسابقة التي نُظِّمَتْ على الصّعيدِ الوَطَنيِّ.

الأنْشِطَة القرائيّة التي تقوم بها الأكاديميّات الجهويّة للتربية والتّكوين

كما أنَّ الأكاديميّات الجِهَويّةَ للتربية والتكوين تنظِّمُ أنْشِطَةً قَصْدَ النُّهُوضِ بالقراءَة، حيثُ تشاركُ العديدُ من المؤسَّسات التعليمية في جميعِ أنْحاءِ المَمْلَكَة في مَشْروعِ «تَحَدّي القراءة العربي». ومَعَ ذلكَ، لا تزالُ نسْبَةُ الانخراط في هذا المشْروع ضَعيفة. لذا، يتعيّنُ العَمَلُ على تعْزيز هذا الانخراطِ بشكْلٍ تَدْريجيٍّ مُستقْبَلًا.

ومع ذلك، فإنّ دراسةَ الوضْعيّةِ الرّاهنَةِ تُتيحُ الوقوفَ على بَعْضِ المُلاحظات:

- مَحْدُوديّةُ نطاقِ المُبادرات، سواء من حيْثُ عَدَدُ التلاميذ الذين يستفيدون منْها، أومن حيث جودة الأنشطة؛
- عملُ الأكاديميّات الجهوية للتربية والتكوين لا ينبع من سياسة واضحة المعالم ومرتكزة على تحقيق النتائج؛ حيث تفتقر مبادراتها إلى خطة عمل ونظام لتقييم الأنشطة.

وزارةُ الأوقاف والشؤون الإسْلامية

تتولّى هذه الوزارَة منذ سنة 2000 تنفيذ برنامجٍ لمحو الأمية بالمساجد. وقد أضحتْ هذه الوزارةُ اليوم الفاعِلَ الرّئيسيَّ في مجالِ مَحْوِ الأمّية في المغرب. ويستهدفُ هذا البرنامجُ

المواطناتِ والمُواطنينَ الّذينَ لم يلتحقوا أو غادروا صُفوفَ الدراسة، علماً أنَّ البرنامج يخصص نسبة 80 في المائة من المقاعد لِمَنْ تقلّ أعمارهم عن 49 سنة. وتشكل النساء نسبة 90.54 في المائة من المستفيدين، كما يمثل السّكانُ المنْحَدِرُونَ من المناطق القرويّةِ نسبة 45 في المائة.

كما تعتمد الوزارة في برنامج محو الأمية على التلفزيون والإنترنت، حيث يستفيد المتعلمون من برامج لمحو الأمية الأساسية ولمحو الأمية الوظيفية، في إطار مقاربة تأهيلية، كما يستفيدون من برامج لتأهيلهم في مجال القراءة والتعلم مدى الحياة. وقد أنشأت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في سنة 2006 هيئة مركزية للإشراف والتنسيق، تتفرع عنها مصالحُ لا مُمَرْكَزَةٌ على مستوى الجهات والأقاليم. وفي هذا الصّدَدِ، يجْدُرُ التذكير ببعض المعطيات الحديثة عن الموسم الدراسي 2017–2018. وتقدم هذه المعطيات لمحة عن الوسائل التي تمت تعبئتها وعن عدد المُستفيدين: يشكّل الذكور نسبة 5 في المائة، بينما تمثل الإناث 95 في المائة، في حين أنّ المُؤَسّسَاتِ السِّجْنِيّةِ لا تُمَثِّلُ سوى 1 في المائة، أما الوسط القروي، فيشكل 48 في المائة، مقابل 51 في المائة للوسَط الحضري.

وقد وقفَتْ وزارَةُ الأوقاف والشؤون الإسلامية على عددٍ من الصُّعُوباتِ منها:

- محدوديّة الإمكانيات المتاحة من أجل توسيع نطاق البرنامج في الوسط القرويّ؛
- ضعف مشاركة الذكور في برامج مَحْوِ الأُمّيّة؛
- عدم القدرة على الاستجابة لحاجيات ذوي الاحتياجات الخاصّة؛
- عدم كفاية الموارد المرصودة لتطوير مشروع التعلم مدى الحياة؛
- لا تسمح الاعتمادات المتاحة بتمديد البرنامج ولا بتسْريع وتيرة تنفيذه.

وبكُلّ تَأكيد، لا يخْلو هذا البرنامج الخاصّ بمَحْوِ الأمّيّة من طموح، غير أنّ مُساهَمَتَه في النُّهوض بالقراءة سَتَكُون أكْثَر نجاعَةً شريطة الانكباب على مُعالَجَة مَواطِنِ الخَلَلِ المَرْصودَةِ والعَمَل على إيجادِ حُلولٍ مُناسِبَةٍ لبعض الجوانِبِ الهامّةِ والمُتَمَثِّلة فيما يلي:

- عدم العمل بشكل تلقائي ومنتظم على إنجاز دراسات علمية (سوسيو- اقتصادية، سوسيولوجيّة، بيداغوجية) مِنْ أجْلِ تحْديدِ الحاجيات الخاصّة للمتعلمين وتوفير برنامج يلائم خصوصيات كل فئة؛
- غياب لوحة قيادة تتضمن مؤشرات واضحة وشفافة لتقييم أداء البرنامج وقياس الأثر الحقيقي على المتعلمين وعلى دينامية التنمية في البلاد؛
- ضعف مستوى الابتكار (ارتكازاً على الأدوات والتطبيقات الرقمية)؛
- ضعف مشاركة الرّجال.

الوكالةُ الوطنية لمحاربة الأميّة

أحدثتْ هذه الوكالةُ في سنة 2013، حيث أضحت المؤسّسة الوطنية المكلفة بمعالجة إشكالية الأمية. ويضمّ مجلس إدارة الوكالة، الذي يترأسّه رئيسُ الحكومَة، مُمَثِّلينَ عنْ أهمّ الفاعلين في مجالِ مُحارَبَة الأمّية، مِنْ قطاعات وزارية وهيئات عمومية ونقابات ومجتمع مدني وقطاع خاص.

وتتمثل المهام الرئيسية للوكالة الوطنية لمحاربة الأمية في وضْع استراتيجية وطنية لمحو الأمية وتنْسيق التدابير المتخذة من مختلف الفاعلين في هذا المجال. وتتمثل الغاية من ذلك في تخفيض معدل الأمية في المغرب، الذي يصل، وفقاً لأحْدَث الأرْقام الصّادرة عن المنْدوبيّة السامية للتخطيط، إلى 32 في المائة من السُّكّان البالغين 10 سنوات فما فوق (44.7 في المائة في الوسط القروي) [32]. ومن الصّعبْ في الوقت الرّاهنِ إجراءُ تقييمٍ لحصيلة أداء مؤسَّسَة فتية كالوكالة الوطنية لمحاربة الأمّيّة، التي تطلب منْها إرساء هياكلها بعض الوقت، علماً أنها تتوفر على مواردَ بَشَريّةٍ وماليةٍ محدودةٍ.

وقد نفذت الوكالة الوطنية لمحاربة الأمية بعض المشاريع المبتكرة في مجال محو الأمية الوظيفية. ويستهدف البرنامج الأول الأشخاص النشيطين في بعض القطاعات الإنتاجية؛ أما البرنامج الثاني فيتعلق بتطوير تطبيق على الهاتف المحمول أطلق عليه اسم «ألفا نور»، ويهدف إلى تيسير عملية التعلم لفائدة الصنَّاع التقليديين. وتسعى الوكالة الوطنية لمحاربة الأمية من خلال هذه المشاريع إلى إرْساء ترابُطٍ بين اكتساب القدرة على القراءة وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية. كما تبرز من خلال هذه المشاريع الإمكانات الهامة التي تنطوي عليها التكنولوجيا الرّقمية لخدمة الجهود الرّامية إلى النّهوض بالقراءة. تَسْعى بَرَامجُ مَحْو الأمِّيّة المُعَدَّة منْ طَرَف الوَكالة، بكيفيّة أساسيّة، إلى نَقْل الأشْخاص المتعلّمين من وضْعيّة الأمّيّة إلى وضعيّة أشْخاص يَسْتطيعونَ القرَاءَةَ والكتابَة، قادرينَ على قراءَة نُصُوص تشكل جزءًا من حياتهم اليَوْميّة. وممّا لا شكّ فيه أنّ مِثْلَ هذه الوضعيّةَ قد تكونُ لها طموحاتٌ أكْبَر، خاصّة فيما يتعلق بتعزيزِ القراءة.

زَمن الكتاب، مبادَرَةٌ مؤسّساتيّة مُبْتَكِرَة

في سنة 2004، أطلقتْ كتابَةُ الدّولة للشباب مبادرة «زمن الكتاب». وهي مبادرة كانت ترمي إلى جَمْع عدد من الكتب قصد تَزْويد مَكْتَبَات دُور الشباب. من أجل ذلك، أُعدّتْ أماكنُ للقراءة قَصْدَ اسْتقْبال الشَّبَاب المُتَعَطِّش للتّثْقيف والتّحْصيل الفكْريّ. كما تَمّ إنشاءُ أنْديَة للْقرَاءَة، وَتَخصيصُ جائزة وطنية لفائدة القُرّاء الْجَيّدين. وكانت التّبَرُّعات تُسَلَّم بكيفيّة مُبَاشَرَةً إلى دُور الشّباب وَمندوبيّات الوزارة، أو تُسَلَّم إلى مراكزَ جرى تجهيزُها خصيصا لهذا الغرض في الساحات

32 – في نهاية سنة 2016، 8.5 في المائة من السّكان الذين تبلغ أعمارهم 25 سنة فما فوق، إلى أعلى مستوى دراسيّ، مقابل 7.9في المائة سنة 2015. وهذه النسبة مرتفعة في صفوف الرجال (10.6 في المائة سنة 2016، مقابل 9.8 في المائة سنة 2015) مقارنة بالنساء (6.6 في المائة مقابل 6.2 في مقابلَ 2015). وبالنسبة لأولئك الذين وصلوا إلى المستوى الثانوي (الإعدادي أو التّأهيلي أو ما بعد الثانوي)، فإنهم يمثلون 24.0 في المائة، مقابل 23.8 في المائة سنة 2015. أما باقي السكان، أيْ 44.0 في المائة، فإنّهم لم يلتحقوا أبدا بالمدرسة أو أنّهم يُعانون من الأمّيّة (57.9 في المائة بالنسبة للنساء، و28.2 في المائة بالنّسبة للرجال). المؤشرات الاجتماعية للمغرب، 2018، ص. 33.

الكُبْرى بالمُدُنِ المَغْرِبيَّة. تهدف هذه المبادرة إلى إعطاء حياة ثانية للكُتُب المستخدمة وتشجيع القراءة من خلال تعبئة النوايا الحسنة. لقد كانت الغايةُ من هذه المُبادَرَة هيَ إعطاء حياة ثانية للكُتُب المُسْتَعمَلَة، وتشجيع فعْل القراءة عبْرَ تعْبئة الإرادات الحَسَنَة. وقبل أيّام قليلة من نهاية حمْلَة جمع الكتب، أعلنتْ كتابَة الدّولَة في للشباب أنّها تَلَقَّتْ ما لا يَقِلّ عن 132.000 مُؤَلَّفاً منْ طَرَف المُؤَسّسَات العُموميّة وَمُقاوَلات خاصّة وأفراد[33]. لقد كان بالإمْكان أنْ يَكونَ لهذه المُبادَرَة المبتكرة أَثَرٌ إيجابِيٌّ على عمليّة النُّهوض بالقِرَاءَة في بلادنا لَو تَطَوَّرَتْ وَتَعَمَّقَت فيما بَعْدُ.

أطْلقتْ وزَارَةُ الثقافة عَدَداً منَ المَشَاريع الثقافية لسَدِّ النّقْص الحاصل على مُستوى الجَمَاعَات والبَلَديّات: بنَاء العديد من دُور الثّقافة، بشَرَاكَة مع الاتّحاد الأوروبّي، وَإعداد وتنْظيم المهْرَجانات، وَتَرْميم المَوَاقع التّاريخية والمعالم الأثَرِيّة، وخلْق مَتاحف جهويّة، وقافلة الكتاب، الخ. إلّا أنَّ كُلّ هذا العمل لا يمكن بأيّ حال من الأحْوال أنْ يقومَ مقامَ تدخُّل الجماعات الترابيّة في هذا الشّأن، لأنّ الأوْراشَ ضَخْمَةٌ وتتطَلّبُ مَواردَ ماليةً كبيرة.

مُبادراتٌ جهويّة محدودة

لا بُدَّ، في هذه السّياق، منَ الإشارَة إلى المُبادَرَة التي قامتْ بها جهة الدار البيضاء-سطات مؤخَّراً من أجْل النهوض بالقراءة على مُستوى الجهَة، وذلك بإنشاء أرْبَع جوائزَ أدَبيّة لفائدة المُبدعين والكُتّاب. وهيَ مُبادَرَة تُطلقُها بشراكَة مَعَ الاتحاد المهْنيّ لناشري المغرب، في إطار دَعْم الثقافة والقراءة وتيسير الولوج إلى الأنشطة المرتبطة بهما. وَتُكافِئُ هذه الجائزَة دراسة أدبية، يمكن أنْ تكونَ ذاتَ طبيعة سوسيولوجيّة وأنثروبولوجيّة أو اجتماعية وسوسيو- سياسية أو نَصًّا روائيًّا، حيثُ سيحْصُلُ الفائزُ في كُلِّ فئة على جائزة قَدْرُها 50 ألْفَ درهَم. وَسَتُمْنَحُ الجوائز الأرْبَع على هامش المعرض الدولي للنشر والكتاب الذي سينعقدُ بمدينة الدار البيضاء خلال شهر فبراير 2019.

وبالتالي، فقدْ أصْبَحَ الأمْرُ أكثرَ إلحاحاً بالنسبة للجماعات التُّرابيّة لإدْراج الجانب الثقافي ضمْنَ اسْتَرَاتيجيّتها المتعلّقَة بالتّنْمية المَحَلِّية للمُدُنِ والبوادي، لا سيما في مجالِ النُّهوض بالقراءة.

مُجتمَعٌ مَدَنِيٌّ مُنْخَرِط في النهوض بالقراءَة

على صعيد المُجتمع المدني، كانتْ بعضُ الجمعيّات وراءَ العديد من المُبادَرات الرّامية إلى تَعْزيز القراءة في بلدنا. وقدْ مَكّنَتْ جلسَاتُ الإنْصاتِ مع عددٍ منَ الفاعلينَ الجَمْعَويّينَ منَ الوُقوف على المبادرات التالية:

- تأسيس ودعم نوادي القراءة، لا سَيّما في المَدارسِ الابتدائيّة والثانوية والجامعات؛
- تنظيم أنشطة وبرامج قرائيّة بكُلّ من الخزانات العُموميّة والمَدْرسيّة وَدُور الشّباب والمُخَيَّمات الصّيْفيّة ومراكز حِمَايَة الطّفولَة والمؤسّسات السّجنيّة والعالَم القرويّ؛

33 – المصدر: وزارة الشباب والرياضة

- تنظيم قوافل القراءة عبْرَ المُدُنِ والبوادي. وَتَجْدُرُ الإشارةُ إلى مثال مؤسّسة بنكيّة تستغلّ تنقّلاتها عبر الحافلات في الأسْواق، في إطار أنشطتها القُرْب البَنْكيّة التي تقوم بها، للقيام بحملات للنهوض بالكتاب في المدارس القَرويّة (إعارَة الكتب للأطفال)؛ وهذا نموذج من نماذج الشراكة النّاجِحَة بيْن القطاعِ الخاصّ والمُجْتَمَع المَدَنِيّ؛
- تنظيم دورات تكوينيّة قَصْدَ النّهوض بالقراءة في صفوف الشّباب؛
- تنظيم الجوائز على غرار المُسابقة الوطنيّة للقراءة وجائزة الكُتّاب الشّبَاب والجائزة الجهويّة للقراءة (الدار البيضاء)؛
- تنظيم ندوة وطنية حول القراءة والكتاب في سنة 2015؛
- الضّغط على السلطات العُموميّة، وخاصّة تقديم عَريضَة في أبريل 2016 موجَّهَة إلى رئيس الحكومة من أجل فتْح وتأهيل المكتبات في المؤسّسات التعليمية، وتقديم عريضة في أبريل 2017 إلى وزير التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي لجعل القراءة أولوية وطنية.

وبفضل مبادرة جمعية رواد المغرب الشباب القيادات التّابعة لكُلّيّة العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بمدينة سطات، قامَتْ مَجْمُوعاتٌ مِنَ الشباب بحَمْلَة توزيع الكُتب وَالمَجلّات والجرائد على المسافرين عبر التّرامْوايْ، قصْدَ قراءتها خلالَ مُدّة سَفَرِهَا بمختلف محطات مدينة الدار البيضاء.

كما تسْعَى بعضُ المنظّمات غيْر الحكومية والمواطنين إلى تطوير ثقافة القراءة، عبْرَ القيام بعمليّات تحسيسيّة أو عَبْرَ توزيع الكُتُب. وتجدر الإشارَة هُنا، على سبيل المثال، إلى الجمعية المغربية للتضامن والتنمية المستدامة، وهي جمعية تتكوّن من طلَبة كلية العلوم بالرّباط تعمل في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية. فقدْ بادَرَتْ هذه الجمعية إلى تمْويل تجْهيز قاعَة ثقافيَة بالجماعَة القَرَويّة سيدي موسى المجْدوب (عمالة المحمّدية) تتكوّنُ من ثلاثة فضاءات: فضاءً للقراءة، فضاء للمسرح ولعرض الأفلام، وفضاء للورشات. كما ساهَمَت الجَمْعيّةُ في تمويل أعْمال أخْرى ذات طبيعة اجتماعيّة وثقافية، مثل توْزيع أكثر من 500 حقيبة مدرسيّة على الأطفال المُعوزين. وَعَلَى مُستوى العالَم القَرَويّ، تعمل منظمة غير حكومية أخرى، هي جمْعية دعم المكتبات القرويّة التي أُسِّسَتْ في يونيو 1999 بمدينة الرباط، على دعم قطاع المكتبات (العموميّة والمدْرسيّة) في الوسَط القرويّ.تحسيس صناع القرار من أجل تطوير المكتبات في الوسط القروي.

وفي هذا الإطار، قامتْ الجمْعيّة منذ تأسيسها ببِنَاء ثَمَاني مَكْتبات مدرسيّة وخمْس مكتبات عموميّة صغيرة وخمْس مكتبات بدُور الطّالب. كما نَظّمت عدّة دورات تكوينيّة، بالإضافة إلى أنشطة حول قراءة الكتب وعمليّات توْزيع الهدايا التّشجيعيّة. وقد ساعدتْ هيئات أخرى على إنشاء 39 فضاءً للقراءة في المدارس القرويّة ومكتبتيْن مَدْرَسيتيْن.

وبِخُصُوص المبادرات الرّامية إلى تحسيس المواطنين بالقراءة في وسائل النقل، نُشير إلى مُبادرة «قَرَا تَوْصَلْ»، التي أطلقتها جمعية «رواد مغرب الشباب» بالتنسيق مع شركة كازا تراموای. وهي مبادرة تَروم تشْجيع القراءة لدى المواطن المغربي، إذْ أنّه عَبْر عشْرين محطّة في مدينة الدار البيضاء توضع رَهْن إشارة الرّكاب 40 مكتبة مجهزة بما يفُوقُ 5.000 عنوان موزّع ما بَيْن كتب ومجلات ودواوين شعرية، مع إمكانيّة الاشتراك في هذه المبادرة وبشكل فِعْلّي عبر تقديم مُؤلفات لإغناء تلك الخزانات ومرتاديها.

ومن بين المُبادَرَات التي تعمل على النّهوض بالقراءَة، نشير إلى شبكة القراءة في المغرب. وهي شبكة من الجمعيّات غير الحكومية تأسّستْ سنة 2013، وَتَعْمَلُ على دَعْم وتعْزيز الكتاب والقراءة في الحياة اليومية للمغاربة. كما تُنَظِّمُ الشّبَكَةُ كلّ سنة «الجائزة الوطنية للقراءة» التي تهدف إلى «تبويء القراءَة المكانة التي تستحقّها في المجتمع»[34]. وهي مُسابَقَةٌ مفتوحةٌ في وجْه الشّباب الذين تتراوح أعْمارُهُم ما بيْن 8 و24 سَنَة، حيثُ يتعيّنُ عليهم كذلك تقديمَ لائحة بأسْماء الكُتُب التي قرأوها طيلة السنّة، مع تدقيق العَناوين وأسماء مُؤَلِّفيها وتاريخ ومكان النشر. كما ينبغي للمُشاركين أيضًا تقديم نَصٍّ يضمّ حَوَالَيْ 500 كلمة، يسْتَكْملون فيه نهايَةَ كتاب من اختيارهم، مُسْتَلْهمينَ خيالهم وإبداعَهُم. ثُمَّ إنّه يتعيّنُ عَلَيْهم الحُضُور في اجتماع اللجنَة التي تَتَكَوَّنُ منْ أعْضَاء الشَّبَكَة وأساتذة جامعيّين وَكُتّاب. وَيُعْلَنُ عَنْ نَتائج الجائزة في حفل خاصّ ضمْنَ فَعّاليّات المَعْرض الدّوْليّ للنّشْر والكتاب بمدينَة الدار البيضاء، حَيْثُ يَتمُّ اختيارُ فائزينَ منْ بَيْن ستٍّ فئات عُمْريَّة. وَقَدْ أطْلَقَت الشَّبَكَةُ مؤَخَّراً النُّسْخَةَ الخامسَةَ للجائزة الوطنيّة للقراءة برَسْم سنة 2019، التي تُنَظَّمُ بتَعاوُن مَعَ نادي القراءَة «ألفْ». وقدْ اَطْلَقَ هذا النّادي مُؤَخَّرًا مُبادَرَةً باسْم «راعي القراءَة»، التي تَهْدفُ إلى نَشْر حُبِّ القراءة عند الأطفال. وفي هذا الإطار، يختارُ الرَّاعي طفلاً يرافقه خلال ساعَةٍ واحِدَةٍ في اكتشاف كتاب يُهْدَى لَهُ في النهاية.[35]

وبهَدَف نَشْر فعل القراءة والتحسيس بها خلالَ فصْل الصّيف، لا بدّ من الإشارَة إلى مُبادَرَتيْن رائدتيْن بمدينتيْ الجديدة وأكادير. حيْثُ يتمّ تنظيم كُلّ سنة فعّاليّات المكتبة الشّاطئيّة لتشجيع القراءة وتوفير الكتب للمُصطافين الذين يقْصدون الشاطئ في شهر غشت. وتأتي هاتان المُبادَرَتان في سيَاق العَمَل على جَعْل القراءة سُلُوكًا يوميًا يُصاحبُ الفرْدَ في كلّ مَرَاحل حياته وانْشغالاته، وتربية النّشْء على حُبِّ الكِتَاب والإقبال على القراءة في فصْل الصّيف الذي يوازي فترة العُطلة والخلود إلى الرّاحَة.

أمّا بالنِّسْبة لتجْرِبَة شَبَكة المقاهي الأدبيّة بالمغرب، فقد انطلقتْ سنة 2002 انطلاقا من رغبتها في تنظيم لقاءات ثقافية وقِرَائيّة مع الكتّاب والنّقاد والأدباء داخلَ المَقاهي بعَدَد من المُدُن المغربيّة. ويقول رئيس شبكة المقاهي الثقافية بالمغرب، نور الدين أقشاني، إنّ عدداً من هذه المقاهي نَجَحَ في الترويج الثقافي والفني، مسجلا تجاوب روّاد المقهى مع هذه التّجربة

34 – جلْسَةُ إنصات مع السيّد عزيز داداْ، مدير مقاوَلَة (S2M)، شاعر وفاعل جمعويّ وثقافي بتاريخ 7 يونيو 2018.

35 – نفسه

الثقافية التي تساهم في ترويج إصدارات المُبْدعينَ وفتْح قناة تواصُل مُباشر بينهم وبين الجمهور الذي لا يراهم إلّا عَبْر شاشات التّلفزيون أو صَفَحات الجرائد، ولا يتعرَّف عليهم إلا من خلال إنتاجاتهم. غير أنّ هذه المُبادَرَةَ تُعاني من بعض الصّعوبات منْها صعوبة إيجاد فضاء يسمح هو أو صاحبه أنْ يُخَصَّصَ للأنشطة القرائيّة.

علاوَةً على ذلك، أتاحَ التطوّرُ التّكْنولوجيُّ وُلوجًا واسعَ النِّطاق وَسَهْلاً لفائدَة المَكْفوفينَ وَضعَاف البَصَر في مجال القرَاءَة. وبالفعْل، فَإنَّ إنشاء أبجدية عن طريق اللّمْس هو مفتاحٌ أساسيٌّ لمحو الأمّية، يُمَكِّنُ الأشْخاصَ المكفوفين أو ضعاف البَصَر من اكْتساب عَدَد من المَعَارف في مُختلف المَجالات. وقد عملت بُلْدانٌ كثيرةٌ عَلَى توْظيف هذه التّقْنيَّة، التي سُرعانَ ما تمّ اعتمادها وتَكْييفها مَعَ جميع اللّغات. وهيَ اليَوْمَ متوفّرة في شكْل بَرْمجيّات وَأَجْهزَة يُمْكنُ رَبْطُها بحواسيبَ محمولة وصغيرة أو هواتف ذكيّة أو لوحات. كما أنّ العديدَ منْ دُور النّشْر عبْرَ العالم تعْمل اليوم على نَشْر هذه التّقْنية في الكتابَة قَصْدَ جَعْلها في مُتَناوَل المَكْفوفين وضعاف البَصَر.

على صعيد آخَرَ، تمكّنت جمعيّة رؤى بشراكة مع وزارة الاتصال، في سنة 2014، من تدشين فضاء يوفر المطبوعات والمنشورات بطريقة «برايلْ» لفائدَة المَكْفوفين وضعَاف البصر[36]، وذلك في إطار تنفيذ مُقتضيات ملحق الاتفاقية المُوَقَّعَة بيْن وزارة الاتصال وجمعية «رُؤى» في نونبر 2014. ويوفّرُ هذا الفضاءُ، المتواجدُ بمقرّ وزارة الاتصال، الموارِدَ البَشَريّةَ واللوجيستيكيّةَ الكفيلةَ بتيْسير اسْتفادة المكْفوفينَ وضعَاف البَصَر من المطبوعات والمَنْشُورات الصّادرة بطريقة «بْرايْلْ». ويأتي إحداثُ هذا الفضاء تفعيلاً لمُعاهدة مراكش، الخاصّة بالاسْتثناءات المُطَبَّقَة على حُقوق الملْكيّة الفكريّة لفائدة ضعاف البَصَر والمكفوفين. كما أنّ الجمعيّةَ المَغربيّة لإعادة تأهيل المكفوفين وضعاف البَصَر، تؤكّدُ دراسةٌ أجْرَتْها الجمعيّةُ المغربيّةُ لتأهيل المُعَاقين بَصَريًّا (AMARDEV) أنّ الأبْجَديّةَ عنْ طريق اللّمْس هي أداةٌ رئيسيّةٌ للوصول إلى هذا المحتوى. تشارُكُ العديدُ من دُور النّشْر حَوْل العالم في تعميم تقنية القراءة والكتابة لفائدة المكفوفين وضعَاف البَصَر. كما تُقَدِّم تكنولوجياتُ الإعْلام آفاقاً من أجل اسْتقلالية ضعاف البَصَر والمكفوفين، ولا سيّما بفَضْل بَرْمَجيّات للتّحْويل الصّوْتي تُعَزِّزُ الوُلوجَ إلى مَزيد منَ المُحْتَويات وَمُحَرِّكات البَحْث بلُغات مُخْتَلفَة. وَمنْ ثَمّ، فَإنَّ وَسَائلَ الاتّصَال الجديدة هذه منْ شَأْنها تَعْويضَ النقص الحاصل على مستوى النّشْر بطريقة بْرايْلْ.

وفي الأخير، فإنّ تجْربَةَ المُجتمع المَدَنيِّ في مَجالِ القرَاءَة تُعدّ تَجْربَةً غَنيّة بمَا يكْفي لإعْطاء مَسالكَ موجَّهة نحْوَ القيام بتَدَخُّلات ملموسَة في المُسْتَقبل. كما أنّ هذه التَّجْربَة تتطلّبُ تقييمًا موضوعيًا وتوسيعاً لنطَاقها. علاوَةً على أنّها تستحق الدّعم من طرف الدولة والقطاع الخاصّ على حدٍّ سواء. إنَّ الشّراكة الثنائية أو الثلاثية (بيْنَ الدّوْلَة والقطاع الخَاصّ والمُجْتَمَع المَدَنيّ) لا يمكنُ أنْ يكونَ لها سوى تأثيرٍ إيجابيّ على النُّهُوض بالقرَاءَة.

36 – المصدر: وزارة الثقافة والاتصال.

II. المُقارنات الدولية والدّروس المُسْتفادَة

لا بُدّ من الإشَارَة إلى أنّ النقاشَ المُتعلّقَ بواقعِ تَرَاجُعِ القرَاءة، ولا سيَّما قراءَة الكُتُب، قدْ أصْبَحَ يُثارُ على نطاقٍ واسعٍ في العديد من البُلْدان على الصَّعيد الدّولي. فَإذا كانَ النَّاسُ لا زالوا يقرأون، فإنَّهُم مع ذلك لمْ يعودوا يقرأون سوى عَدَدٍ أقَلَّ من الكُتُب. ذلكَ أنَّ سَلاسلَ القراءة، وخاصّة في أوسَاط الشّباب، أصبحتْ سلاسلَ أقْصَرَ وَمُرْتَبِطَةً، في غالب الأحيان، بالرّسائل المَكْتُوبَة عبْر شَبَكَة الأنترنيت، وبالتالي فهي مرتبطة ارتباطًا كبيرًا بالمُشاركَة الاجتماعيّة الواسعَة[37]. وعلى سبيل المثال، فإنّ بلدًا مثل فرنسا، حَسَبَ نتائج الدّراسَة الدّوْليّة لتطوّر الكفايات القرائيّة (PIRLS, 2016) ، تتوفر على مُعَدّلٍ أعْلى من مُتَوَسِّط 50 دوْلةً مُشاركَةً، أيْ 500، لكنّها تحتلّ المرتبة 34، الأخيرَة تقريبًا على صعيد القارّة الأوروبيّة.

وإذا كانت هناك أسباب خاصّة بكلّ بَلَد على حدَة، فإنّه من الضَّروريّ الأخْذُ في الاعتبار، من جهة، التطوّرَ التكنولوجيَّ وتأثيرَهُ على أساليب القراءة، ومن جهة أخْرى التحوُّل الذي عَرَفَهُ بّارادِيغْم القراءة نفسُهُ وتعدّد معنى مفهوم «القراءة» كذلك. إنّ هذا المفهومَ يعني، في الوقْت نفسه، عمليّةَ القراءة وطريقَتَها، كما تعْني فكَّ الرّموز والحُروف بكيفيّة بَصَريّة، باعتبارها مادّةً تعليميّة أوّليّةً، وكذلكَ التعرّفَ على محتوى النّصِّ المكْتُوب من أجْلِ فَهْمِه وتفسيرِه لتحقيق غاية الحُصُول على المَعْلُومَة أوْ التّرْفيه.

هناكَ العديدُ منَ التّعْريفات التي اقْتُرِحَتْ لمَفْهُوم القراءَة، تنْحُو أكْثَرَ فَأكْثَرَ نَحْوَ اسْتبدال هذا المفْهوم بمفهوم آخَرَ يُشيرُ إلى عمليّة القرَاءَة وَمُمارَسَتها باعتبارها سَيْرورَةً، هو (القرَائيّة). ذلك أنّه مُنْذُ مُسْتهلّ سنوات 2000، أصْبَحَ هذا المفهُومُ يُسْتَعْمَلُ على نطاق واسع في المناقشات المُتَعَلِّقة بإشْكاليّة القراءة على الصّعيد الدّوْليّ. وانطلاقًا من اعْتبَار القرَاءَة عَمَليّةً أساسيّةً منْ أجْل اكْتسَاب الكفايَات والمَهَارَات الحَيَاتيّة الأسَاسيّة، فإنّ مُنظّمَة اليُونسْكو كانتْ قد أعلنتْ 2003–2012 عَقْدًا للْقرائيّة، منْ خلال تعْريفها لهَذه الأخيرَة بصفتَها هي «القُدْرَة على تحديد حوامل مطْبوعَة ومكتوبَة وَفَهْمها وتفسيرها وَخلْقها وَتَبْليغها واسْتعْمالها في سياقات مُتَنَوِّعَة. وهذا يفْترض وجود اسْتمْراريّة التّعلُّم لتمكين الأفراد من تحْقيق أهْدافهم، وتطوير معارفهم وإمكاناتهم، والمشاركة بشكل كامل في حياة جَمَاعَاتهم والمُجْتَمَع ككُلّ»[38].

منْ جهَتها، تَعْتبرُ منظمةُ التّعاوُن الاقتصادي والتنمية (OCDE) القرائيّة هيَ قُدْرَةُ الفَرْد على «فَهْم النُّصُوص المكتوبة واسْتعْمالها والتفكير فيها، وذلكَ منْ أجْل تحقيق أهْدَافه وَتَحْسين معارفه والرّفْع منْ قُدُراته ومُشَارَكَته في الحياة الاجتماعيّة. وهيَ كذلكَ قُدرَتُهُ على فَهْم واسْتعْمَال

37 - Sylvie Octobre, Deux pouces et des neurones. Les cultures juvéniles de l'ère médiatique à l'ère numérique. Paris, La Documentation Française, coll. « Questions de culture », 2014.

38 – اليونسكو، 2004.

المَعْلومَة المَكْتُوبَة في الحياة اليوميّة، داخلَ البيتِ وفي أماكنِ العَمَلِ والمُجتمع، مِنْ أَجْلِ تحقيقِ أهدافِه الشّخْصيّة وتوسيعِ معارفِه وَقُدُراتِه[39].

وَمِنْ بيْن أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة، يهتمّ الهدفُ الرّابعُ بِدَوْرِه بِشَكْلٍ كبيرٍ بالنتائجِ المُتعلّقة بالمَسْأَلَة التّعْليميّة، على مُسْتَوى الاكْتِسَاب الفَعّال للكفايات الأساسية، وكذلك على مُسْتوى التعلُّم المُلائم للمُشَارَكَة المَدَنيّة والحَياة الاجْتماعيَّة والثّقافية والشُّغْل. ولهذا الانْخِراط العالَميِّ نتائجُ هامَّةٌ على السّياسة التّعْليميّة وعلى التنظيم والمُمارَسَة، لا سيَّمَا في المجالات التي تَتَطَلّبُ تحْسينَ عَمَليات التّعَلُّم وتحْسينَ النتائج. وتشملُ هذه المجالاتُ تكوينَ المُدَرِّسينَ والتطويرَ المهنيّ المُستمرَّ، كما تشْمَلُ تطوُّرَ البرامجِ الدراسيّة وكيفيَّةَ تصوُّرِ التدريس وموادِّ التعلم، والتّدبير المدرسيّ وتقييم المُكْتَسَبات.

لإغناء التحليل الذي تم القيام به لواقع القراءة، جرى الوقوف عند بعض الممارسات الفضلى على الصعيد الدولي. وفي هذا المضمار، وقع الاختيار على بعض البلدان التي وضعت سياسات وآليات وبرامج خاصة مِنْ أجْلِ النُّهوض بالقراءَة. ويُمْكِنُ الاستفادةُ من جُمْلةٍ مِنَ الدُّرُوسِ المُسْتقاة مِنْ هذه التّجارِبِ ومُلاءَمَتُها مع السِّياقِ المَغْرِبِيِّ.

مَأسَسَةُ القِرَاءة

اعتمدتْ دولةُ الإمارات العَرَبيّة المُتّحدَة مُؤَخّرًا قانونًا يتَعلّقُ بالقراءة، يشكّلُ إطارًا تشريعيًّا يرْمي إلى دعْمِ القراءة والنُّهُوض بها. وينصُّ هذا القانونُ على تحفيزِ القطاعِ الخاصِّ على الاسْتِثْمارِ في خَلْقِ المَكْتبات والمَراكزِ الثقافية، كما ينصُّ على إنشاء «الصُّنْدوق الوطني للقراءة» لتوفير الدَّعْمِ المالي للمُبادَرات المُبْتَكرَة التي من شَأنها ترْسيخِ القرَاءة، فضْلاً على سَنّ إعفاء من الرُّسُوم على طِباعة الكتب. وإجمالا، ينصُّ هذا القانونُ على مَأْسَسَة الجُهود الرّامية إلى ترْسيخ القراءة في المجتمع، وإلى تعْزيزِ التعلُّم مَدَى الحَياة، كما أنه يُلْزِم الحُكومةَ بالتدخُّل منذُ وقْتٍ مُبَكِّرٍ لترْسيخ القراءة عبر توفير الحقيبة المعرفية للمواليد والأطفال، ويسْعى إلى نَشْرِ القرَاءة والمعرفة في كلِّ مدرسة وجامعة ومؤسسة وبيْت، وفي كُلِّ أرْجاء الدولة. ويرْمي هذا القانونُ أيضا إلى جعْلِ القراءة عادةً يوميَّةً مُتَأصِّلَةً في حياة المُواطنين بحيث يكونُ من واجبِ المُؤَسّسات المَعْنيّة ترْجَمةُ القانُونِ إلى واقعٍ ملْموسٍ.

كما يسْعَى هذا القانونُ، الذي يُغطّي جوانبَ مُتَعَدِّدَةً، إلى تكريسِ القراءة كَأَحَدِ المَظاهرِ الثّابتَة سواءٌ في المَرَافِقِ العامّة للدولة أو في المقاهي والمراكز التجاريّة، حيثُ يتمُّ توفير موادَّ للقراءَة لفائدَة مُرْتادي هذه الفَضاءات. كما يحثُّ على توْفيرِ الكُتُبِ بأسْعارٍ مُناسبَةٍ وجذّابَةٍ من أجل التشْجيعِ على اقتنائها.

39 - OCDE et Statistique Canada (2000). La littératie à l'ère de l'information. Rapport final de l'enquête internationale sur la littératie des adultes. Paris, France / Ottawa, Ontario, Organisation de coopération et de développement économiques.

النّهوضُ بالقراءة العموميّة مِنْ خلالِ إبْرامِ عُقودٍ بيْنَ الدولة والجِهاتِ

بُغْيَة النهوض بالقراءة العمومية في فرنسا، يتبنى مكتب القراءة العمومية سياسة مرتكزة على بناء علاقات تعاقُديّة مَعَ شُرَكاءَ من القطاعيْن العامِّ والخاصِّ. وفي هذا الصّدد، يتمُّ إبْرامُ عُقُودٍ لتطوير القراءة في المجالات التُّرابية، تقوم على تنفيذ اتفاقيات متعددة السنوات بين الدّوْلَة والجمَاعات التُّرابية والفاعلين الجمْعَوِيّين من أجْلِ تطْوير القراءة العُمُوميّة. وبذلك، تسمح هذه العُقود بخلق ديناميات محليّة تتظافر في ظلّها جهودُ الفاعلين المنخرطين في إعْمال السّياسَات الثقافيّة والتربويّة والاجْتماعيّة، بما يَخْدُمُ هدَفَ النُّهوض بالقراءة، لا سيَّمَا بالمَجالات التُّرَابيَة الأكْثَر خَصاصًا.

ويولي المكتبُ أهَمِّيَّةً خاصّةً للشّباب، وذلك بهدَف تنْمِيَة مَلَكَة حُبِّ القراءة والإقْبال عليْها لدَيْهِم، وتعْزيز تكْوين المُواطن، والوقاية من الأمّية وَمَحْوِهَا. كما يُشْرِفُ المكتبُ على تنْسيق عَمَلِيَّة «الصَّفَحَات الأولى» الهادفَة إلى تشْجيع حُبّ القراءة ومحو الأمية. ويتعلق الأمْرُ ببرنامَج وَطَنِيٍّ لتشْجيع القراءة في سنٍّ مُبَكِّرَة، إذْ يقومُ على مَنْح كُلِّ أسْرة رُزِقَتْ خلال السّنة مولودًا جديدًا أو تَبَنَّتْهُ، ألْبُومًا مُصَوَّرًا. وقد تمّ تنفيذُ هذا المشروع مُنْذ سنة 2009 بشراكة مع الصُّندوق الوطَنيّ للتعويضات العائلية[40] في ثلاث جِهَات نَمُوذَجِيَّة. كما جرى إعدادُ دَليل مُوَجَّه للوالديْن وللأطفال في وضْعيّة إعَاقة، أو الّذين يُعَانون من صُعوبات في القراءة. وبالمُوازَاة مع مَشاريعه ومُبادَراته، يقدّمُ المَكْتَبُ الدَّعْمَ للجمعيات الوَطَنيّة العاملة في مجال تشْجيع القرَاءَة في صُفُوف الشباب في وضعيّة إعاقة أو المُنْحَدرين من أوْساط تُعَاني من الهَشاشة.

تشجيعُ القراءَةِ داخلَ الأُسَرِ عبْرَ مَنْحِ الكُتُبِ

في سنة 1992، أطْلَقَت المُنظّمَةُ غيْرُ الحُكوميّة العاملةُ في المجال التّرْبَوِيِّ «بُوكْ تْرَاسْتْ»[41]، في المَمْلكة المتحدَة، برنامجًا تربويا يحمل اسم «بوكْ سْتارْتْ» يهْدفُ إلى خلْق الفُرَص المُواتيَة لضَمَان حماية وتربية ذات جوْدة لفائدة جميع الأطفال، وَإلى حَثِّ الوالديْن والأوْصيَاء عليهم على اكتساب مَهارات التّفاعُل والفعّالية في تربيتهم للأطفال. ويتّسِمُ هذا البرنامجُ المُرْتَكَزُ على النُّهُوض بتربية ونموّ الأطْفال في سنٍّ مُبَكّرة، بطابَعه المُنْدَمج وباسْتهْدافه لعدّة أجْيال. ويتمُّ تنفيذُه داخلَ الأسَر على المُسْتَوَى الوَطَنيّ، كَمَا يَسْتَهْدفُ الأطْفالَ المُتَمَدْرسيْنَ في طوْر التعليم الأوَّلي والآباءَ أو الأوْصيَاءَ عليْهم، إذْ يستفيدُ منه 2.5 مليون طفْل سَنَويًا. ويتمثَّلُ الهَدَفُ من هذا البَرْنامَج في خَلْق ثقافَة التَّعَلُّم داخلَ البَيْت من خلال تشْجيع الآباء وأوْلياء الأُمُور على تبادُل و/أو قرَاءَة كُتُب وحكايات وأشْعَار مَعَ الأطفال مُنْذُ سنّ مُبَكِّرَة. وتقدّم منظّمةُ «بوك تراست» للأسر دعامات تربَوِيَّةً مَوْضُوعاتيَّةً متنوّعَةً يختلفُ مُحْتواها باخْتلاف سنِّ الطفل، تهدفُ إلى تعْزيز نُمُوِّه النَّفْسيِّ والاجتماعيّ والمَعْرفيّ، وتقْوية مَهاراته اللغويّة والتعليميّة. ويتوَقّفُ تنفيذُ

40 - *Frédéric Mitterand, Présentation des propositions pour le développement de la lecture, Département de l'information et de la communication du MCC, 30 mars 2010, www.culture.gouv.fr.*

41 - *United Kingdom Of Great Britain and Northern Ireland Bookstart, Fostering a culture of reading and writing, op. cit., p. 90.*

هذا البَرْنامَج، بشكلٍ كبير، على انْخراط الوالدَيْن والأوْصياء؛ وَمِنْ ثَمّ جاءُ حرْصُ القائمينَ عليْه على تَعْزيزِ قُدُرات هؤلاء في المجالِ التربوي. وفي هذا الصّدد، تعمل منظّمةُ «بُوكْ تراسْتْ»، بتعاوُنٍ وثيقٍ مع مُوَظَّفي المكتبات ومراكزِ الصِّحَّة المحلية والمهنيّين من أجل مُواكَبةِ الوالدين والأوصياء في عمليّةِ تشْجيعِ الأطفالِ على القرَاءَة.

التِّكْنُولوجيا الرَّقْميّةُ في خِدْمَةِ القِرَاءَة

تُعَدّ «كودْ إيثوبيا»[42] مُنظَّمَةً مَحَلّيّةً غَيْرَ حُكوميّة أُسِّسَتْ سَنَةَ 1994 بشَراكَة مَعَ المُنَظَّمَة الكَنَديَّة للتربية في خدمة التنمية. ويُشكّلُ وَضْعُ واستعمالُ الكُتُب الإلكترونيّة في إطار برنامج «الكتب الإلكترونية ومحو الأمية داخل الأسر» المنجَز في إثيوبيا مقارَبَةً واعِدَةً مِنْ أجْلِ سَدِّ الخَصَاص الحاصلِ في الكُتُب بالمَناطِق القَرَويّة وفي سياق التعدد اللغوي في البلاد. وقد تمكنت منظمة «كود إثيوبيا» لحد الآن من فتح 97 مكتبة جَمَاعَاتيّة في المناطق القروية، وتحرص المنظمة، في معرض تنفيذها لهذا البرنامج، على الاهتمام بالحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للساكنة المستهدفة[43]. وتتمثل أهداف برنامج «الكتب الإلكترونية ومحو الأمية داخل الأسر» فيما يلي:

- توفير حوامِلَ تعليمية رقمية ذات جودة موجهة لمستوى التعليم الأولي باللغة الأم ووضعها رهن إشارة الأطفال في المناطق القروية وأسرهم؛
- إنجاز ونشر وتوزيع حوامل تعلُّمية لمحو الأمية الأبجدية، ملائمة للسياق الثقافي واللغوي؛
- إشراك الوالدين في الأنشطة المدرسية لأطفالهم وتكوينهم في المجالات المتعلقة بنمو وتطور الأطفال وكيفية تعلمهم؛
- حَثّ الوالدَيْن على الاهتمام بمراكز التعلم الجماعاتية واستعمال الحوامل التعليمية التي توفرها، مع تشجيع تكوين الشبكات والتعاون على المُسْتوى المحلي.

مبادراتٌ جَمْعَوِيّةٌ: مُتْعَةُ القِرَاءة، مُتْعَةُ التّقاسُم

«القراءةُ وتشْجيع الآخرين على القراءة» هو بَرْنامَجٌ تُشْرِفُ عليْه جمعية بفرنسا تحمل نفس الاسم، يتمحور حول القراءة والتضامن بين الأجيال[44]. ففي إطار هذا البرنامج، يخصص متطوعون تتجاوز أعمارهم خمسين سنة جزءا من وقت فراغهم للمساهمة في ترْسيخِ مَلَكة القراءة لدى الأطفال، حيث يتم مرة أو عدة مرات في الأسبوع، طيلة السنة الدراسية، تنظيم حصص للقراءة تضم مجموعات مصغرة، وذلك وفقا لمقاربة مبنية على متعة القراءة وعلى

42 – المرجع ذاته

43 – تم ما بين ماي 2014 ويونيو 2015، تنظيم 11 ورشة في ثلاث مكتبات جماعاتية نموذجية. واحتضنت كل ورشة عشرين طفلا في المتوسط بمعية أسرهم. وشارك في المجموع 91 مستفيدا خلال سنة واحدة (بعض الأطفال شاركوا في أكثر من ورشة). وقد كان للبرنامج أثر مهم على الأطفال: حيث يبرز تحليل المعطيات التي تم تجميعها اهتماما متناميا للأطفال بالمضامين المكتوبة. وبالإضافة إلى ذلك، أظهرت المعطيات المستقاة من المكتبات تزايد عدد مرتادي المكتبات النموذجية الثلاث، مما يُظهر اهتمام البالغين بالأنشطة المقترحة.

44 - https://www.lireetfairelire.org

التفاعل والتواصل بين الأجيال. ويتسم هذا البرنامج بكونه يعتبر حلقة وصل بين الأجيال، إذْ يجبُ ألّا يَقِلّ سِنّ القارئ عنْ خَمْسين سنة. وعند انخراط القارئ في البرنامج، توفر له الجمعية تأمينا مجانيا عن مشاركته في حصص القراءة وتنقلاته.

وَيَسْتَهْدِفُ البَرْنامَجُ الأطفالَ المُسَجَّلينَ في مُخْتلفِ المُؤَسّسَات المَدْرَسِيّة أو المُؤَسّسات الأخرى. وينشط القارئ حصة واحدة للقراءة في الأسبوع على الأقلّ. ويلتزم، بعد فترة تجريبية تدوم شهرًا، بمواصلة الانخراط في البرنامج إلى مَتَمِّ السنة الدراسية. ويوجد في فرنسا وأقاليم ما وراء البحار التابعة لها (مارتينيك، غوادالوب، رينيون) 155 منسقا إقليميا يشرفون على 11.073 بنية استقبال تضم 17962 قارئا[45].

«الرجاء التزام الصمت، نحن نقرأ» : جعل القراءة ممارسة يومية

باقتراحٍ من أحد الأساتذة، تَمّ سنة 2001 في الثانوية الفرانكوفونية بأنقرة في تركيا، إطلاق مبادرة لتشْجيعِ القراءة. ففي كلّ يوم، على الساعة الواحدة وخمسٍ وثلاثين دقيقة زوالاً، يدقُّ جَرَسٌ منخفضُ الصّوْت مُعْلِنًا عنْ بَدْءِ حِصّةٍ للقراءة تدوم 20 دقيقةً يستغرق خلالها التلاميذ والأساتذة والموظفون الإداريون والتقنيون فيَ القراءة. وتقوم هذه المبادرة على قراءة الروايات وليس الكتب المدرسية وذلك بهدف «خلق متعة القراءة في نفوس التلاميذ، لعلهم يشعرون بالرغبة في مواصلة قراءتهم للرواية التي بين أيديهم في الحافلة أو بالمنزل، وأن يقبلوا أيضا على تبادل الكتب فيما بينهم»[46].

وقد تم الإعداد لهذه العملية بعناية من خلال اقتناء أعداد كبيرة من الكتب من لدن خزانة المؤسسة التعليمية وإبرام اتفاق مع الجماعة من أجل منح التلاميذ بطاقة مجانية لولوج المكتبة البلدية. كما تم توفير النقل بين المؤسسة التعلمية وهذه المكتبة. وجرى أيضا إشراك آباء وأمهات التلاميذ في هذه العملية عبر تشجيعهم على اقتناء كتاب لأطفالهم، واقترحت عليهم في هذا الصدد لائحة من 25 كتابا لكل مستوى دراسي. وحسب جلسات الإنْصات التي نظمتها اللجنة، فقد قامَتْ مدرستان بمدينةِ الدار البيضاء بتبنّي هذه المبادرة ونَفّذَتاها بنجاحٍ.

تشجيع القراءة في الوسط السجني

بادرَتْ وزارة التربية والثقافة والإدارة الوطنية للتربية العمومية[47] بالأوروغواي إلى إطلاق مشاريع تربوية داخلَ المُؤَسَّسَات السِّجْنيّة تَهُمُّ مَوْضوعَات وأهدافاً جِدَّ مُتَنَوِّعَةٍ (الصّحّة، الحَيَاة الأُسَرِيّة، التّكْوين المِهْنِيّ، مَحْو الأُمّيّة، إعَادَة الإدْمَاج في المُجْتَمَع، إلخ.).

بَعْدَ دُخُول القانون المُتَعَلّق بِأَنْسَنَة المَنْظُومَة السِّجْنِيّة، الّذي يُرَكّزُ على الدّوْر الإيجابِيّ للتّرْبِيّة والتّعْليمِ في الوَسَط السِّجْنِيّ، حَيِّزَ التّنْفيذ سَنَةَ 2005، بَدَأَ الاعْتِرافُ بأهمّيَّة هذا النّوْع مِنَ

45 – معطيات برسم يونيو 2017

46 - www.livresdefrance.com

47 - Fostering a culture of reading and writing, op. cit., p. 141.

التّكوين يَتَعَزّزُ وَيَنْتَشِرُ على نطاق أوْسَعَ. ومُنْذُ إحداث لجْنَة دَعْم التعليمَ في المؤسّسات السِّجْنيّة سنة 2007، انكَبَّتْ هذه الأخيرَةُ على تحسين وتوْسيع العَرْض التربويِّ في سُجُون البلاد، منْ خلال تنظيم وَرْشات ودُرُوس وبرامجَ لمَحْو الأمّيّة لفائدَة السُّجَناء. وقد كانَ للتقدُّم المُحْرَز في مَجال التّربية والتَّعْليم في الوَسَط السِّجْنيِّ، مُنْذُ سَنَة 2005، وَقْعٌ إيجابيٌّ على المُجْتَمَع، سَواءٌ على مُسْتوَى إعْمال مَبْدَأ التّعلم مَدَى الحَياة أو على صَعيد النُّهُوض بالحَقِّ في التّعْليم لفائدَة جميع المُواطنين.

«اكْتُبْ»، وَرشاتٌ للكتابَة بهَدَف تحْبيب القراءَة للنّاشئَة

في تونس، تنَفِّذُ جمْعيةُ أَرْسَلان بشراكة مع المُقاولة الناشئَة «استفادة» مشروع «اكْتُبْ» الرّامي إلى تحبيب رُفْقَة الكتاب وأنْشطة الكتابَة للشباب والأطفال. ويسعى أصحابُ هذه المُبادَرَة، المُنْجَزَة في إطار مَشْرُوع «تَفَنَّنْ - تونس الإبْداعيّة» لدَعْم القطاع الثقافيِّ، إلى إحْياء الاهْتمَام بالكتاب لَدَى النّاشئة، وَذَلكَ منْ خلال بَلْوَرَة تطْبيق للأنترنيت وللهَوَاتف الذّكيّة واللّوحات الإلكترونيّة خاصٍّ بنَشْر الكُتُب الإلكترونيَّة بمُشَارَكَة الأطْفال ومنْ أجْلهمْ؛ وَقَدْ تَمَّ إنْجازُ هذا التّطْبيق الذي يَحْملُ اسْمَ (Kissa) من لَدُن المُقاوَلَة النّاشئَة «استفادة».

وتهدفُ الأنشطةُ المنظَّمَةُ في إطار برنامج «اكْتُبْ» إلى التّحْسيس بأهمّيّة مُمَارَسَة القراءَة وأنشطة الكتابة بالنسبة للأطفال، كما تسْعى إلى تطوير آليات منْهَجيّة وبيداغوجيّة يتمّ استثمارُها في تنظيم ورشات تعلُّميّة ترفيهيّة للكتابَة والإبْداع وَنَشْر قَصَص مُوَجَّهَة للأطفال، مع إشراكهم في كتابتها (بفضْل الأدوات الرقميّة وتكنولوجيات الإعلام والاتصال). وقد جرى تنظيمُ أوَّل دوْرة تدْريبية على الكتابَة بمدينة سوسة يوْمَيْ 11 و12 فبراير 2018 في مقرِّ المدرسة الدولية مُتَعَدّدَة التخصُّصات. وقد شارك المستفيدون في إطار هذه الدّوْرَة في عَدَد منْ أنشطة التَّعَلُّم عَنْ طَريق التّرْفيه الرّاميَة إلى تَقْويَة مَلَكَة الإبْداع لدَيْهمْ. وهكذا استطاعُوا رَسْمَ وكتَابَةَ وَتَخَيُّلَ حكايَات انْطلاقًا منْ أنْشطَة الوَرشات. وبفَضْل هذه المَنْهَجيّة التي تَمّتْ بلوَرَتُها، بشَرَاكَة مَعَ مُخْتَصّينَ في المَجَال التّرْبَوِيِّ، تَمَكّنَ المُشاركونَ تَدْريجيًّا منْ إنْجاز قَصَص منْ تَأْليفهم. أمّا الجُزْءُ الأخيرُ من الدّورة التّدْريبيّة فقد خُصِّصَ لاكْتشاف تطْبيق (Kissa) وإدْماج القَصَص الّتي أَلَّفَها الأطفالُ.

تُبْرِزُ التّجاربُ التي تَمَّ اسْتعراضُها الجَوانبَ التّالية:

- ضَرورَةُ تعْبئَة كُلِّ الأطراف المَعْنيّة من أَجْل النُّهُوض بالقراءَة، لأنَّ الأمْرَ يتعلّقُ بقضيّة ذات أَوْلَويّة بالنِّسْبَة لتنْميَة المُجْتَمَع كَكُلٍّ؛
- أَهَمِّيّةُ تَعْزيزُ القُدَرات اللّغَويّة للأطْفال مُنْذُ سنٍّ مُبَكِّرَة، وفْقَ طَريقَة ترْفيهيّة وَمُرْتَبطَة بحَياتهم اليوميّة، وذلكَ منْ أَجْل التَّمَكُّن منْ تَنْميَة مَلَكَة القراءَة لاحقاً؛
- لا يُمْكنُ أنْ تَكُونَ جهودُ النُّهُوض بالقراءَة ناجعةً إلا إذا توَجَّهَتْ لمَجْموعات مُحَدَّدة، أو سَعَتْ إلى تَصْحيح مَظاهر قُصُور واضحَة؛

- أهَمِّيّة اعْتماد مُقاربات تشجِّعُ التّفاعُلَ والتّواصُلَ بيْنَ الأجْيال، داخلَ الأُسْرَة أو في المُجْتَمع، وتَعْمَلُ على رَبْط عَلاقة بين التّعليم النِّظاميِّ وغيْرِ النِّظاميِّ من خلال جعْل الآباء والأمّهات والأطفال شُرَكاءَ في العَمَليّة التربوية؛
- لقدْ سَمَحَت المُقارَبَةُ المعتمَدَةُ منْ لَدُن «برنامج الكُتُب الإلكْتُرونيّة ومحو الأمّيّة داخل الأسر»، للبالغين والأطفال بالمشاركة في أنْشطَة مَكْتبتهم البَلَديّة. ذلك أنّ القراءةَ والكتابةَ داخل مجموعة لا تشكِّلُ وسيلةً لتحْسين المستوى اللغويِّ والتّعْليميِّ فحسب، بقَدْر ما تُساهمُ كذلكَ في تَقْويَة لُحْمَة التّماسُك داخلَ المُجتمعات المَحَلّيّة، مُعَزِّزَةً بذلك ما يَجْمَعُ بَيْنَ أفْرَادِهَا منْ تاريخٍ ومَجالٍ تُرَابيٍّ مُشْتَرك.

القراءةُ في عالَمٍ رَقْميٍّ

تَخْتَلفُ أنشطةُ القراءة الرّقميّة اختلافًا بَيِّنًا عَنِ القرَاءة التقليديَّة، وذلك منْ خلالِ جانبَيْن أساسيَيْن:

- فَهيَ تقْتَضي، منْ جهَة، التّمَلُّكَ المُسْبَقَ للتقنيات والحَوامل الرّقْميّة (نُصُوصٌ مُتَعَدِّدة الوَسَائط، هوَاتفُ ذَكيّةٌ، حواسيبُ، لوحاتٌ إلكترونيّةٌ ذَكيّةٌ، إلخ)؛
- كما أنها تُوظِّفُ، منْ جهَة أخرى، أنواعًا منَ النُّصُوص ومهارات قرائيّةً تفاعُليّةً صارَتْ تَهُمُّ كُلَّ مَناحي الحَياة الشّخْصيّة والمِهْنيّة للأفراد.

ولتوضيح هذه الفكْرَة، يُبْرِزُ الرّسْمُ البَيَانيُّ التالي كيْفَ يَنْبَغي أنْ تتعاقبَ مختلفُ مراحل اكْتساب مَهارات القراءة، وكيف يمكن أن تتقاطعَ وتتفاعلَ في جوانبَ منْهَا. كما يُبيّن الأدْوارَ المُواطنَةَ والاجتماعيةَ والاقتصاديّةَ والثقافيةَ المُرْتبطَةَ بها.

Acquisition des compétences de lecture et fonctions de la lecture

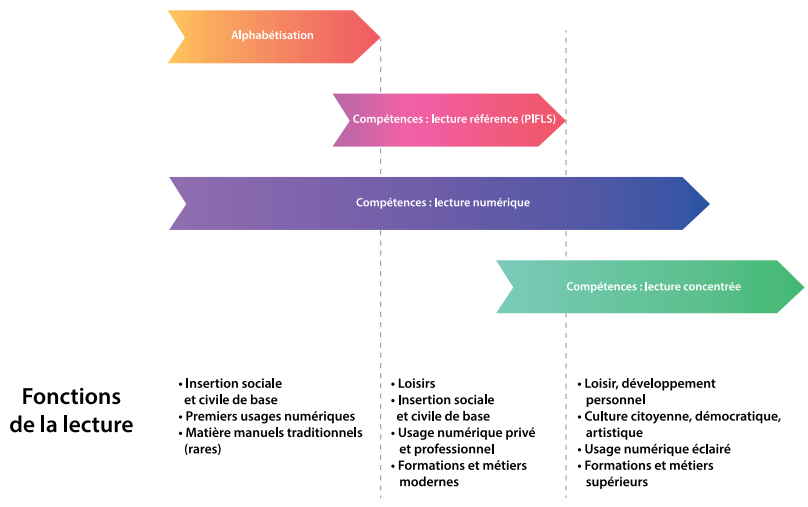

يتطلّبُ اسْتعمالُ الأدوات الرَّقْميّة حَدًّا أدْنى منَ الإلْمام بالقراءَة والكتابَة، من أجْل الاسْتفادة منها اسْتفادَة حقيقيّة. وفي هذا الصّدَد يُشير البحثُ الذي أجْرَتْهُ الوكالة الوطنية لتقنين المواصلات سنة 2018 [48] إلى أنّ عَدَدًا من الأنْشطة التي يُزاولها مُرْتادُو شَبَكَة الأنْترنيت في المغرب هي ذاتُ صلَة بالكتابَة والقراءَة. ذلكَ أنّ حوالي 90 في المائَة من المُرْتادينَ نشيطون على مواقع الشبكات الاجتماعيّة، و72.7 في المائة يَلجُون إلى مواقع الدّرْدَشَة والحوَار، 52 في المائة يتبادلونَ رسائلَ إلكترونيّةً، وأكثر من 40 في المائة منهم يقرأونَ أو يُحَمّلونَ جرائد ومجلّات على الويبْ، و39.4 في المائة يتصفّحونَ مواقع الويكي (التي تسمَحُ للزّوار بالاطلاع على مُحْتوى وتعْديله وإضافة مُحْتوًى بدُون قُيُود) ومَوْسوعات على الأنترنيت أو غير ذلك؛ و8.5 في المائة منْ مُرْتادي الأنترنيت يقومُونَ بقراءَة أو تَحْميل كُتُبٍ إلكترونيّة. وبالتّالي، فإنّ اسْتعْمالَ هَذه الأدَوَات الرّقْميّة هو طريقةٌ جديدةٌ للقراءَة، مُوَجَّهَة نحو نصوص قصيرة (بَلْ قصيرة جدًا في بعض الشّبَكات الاجتماعيّة)، مُرَكَّزَة وذات اهْتمام مُباشر وَفَوْريّ بالنّسْبَة للقارئ. كما أنّ المُحْتويات الرّقْميّة هيَ في غالب الأحيان عبارَةٌ عَنْ مَزيجٍ منَ النُّصُوص والوسائط التي تَتَميّزُ بتوفُر مكوِّنات الصّوت والصورة والفيديو. وهكذا، فإنّ مُستعملَ هذه الأدوات الرّقميّة يجد نفسَه أمامَ شَكْلٍ جديدٍ من اشْكال المحتوى، يتكامَلُ مَعَ المُحتوى الوَرَقيّ التقليديّ.

وأخيرًا، تتيح تقنية «الرّابط» الانتقال من محتوى إلى محتوى آخَر، إمّا بهَدَف تعْميق مفْهُوم ما، أو لاكتشاف محتويات لم تكُنْ مُتَوَقَّعَة في بداية القراءة. نَصلُ هُنا إلى صُلْب الاهْتمَام الرّقْميّ: أيّ توفُّر أعْداد كبيرة من الكُتُب التي لا تتوفّر عليْها كُبرياتُ المَكْتَبات. واليوم، يتجاوز مجموع الكتب والوثائقَ المُتاحَة والقابلة للتَّصَفُّح على الإنترنت كلّ ما يُمكن أنْ يتخيَّله أكثر القَيّمين على المكتبات جُرْأَةً؛ علاوَةً على أنّ معظم هذه المحتويات يُمكن الولوجُ إليْها مَجّانًا.

غَيْرَ أنَّ القراءَةَ الرّقْميّةَ لا تقوم مقامَ القراءَة التقليديّة على الحامل الوَرَقي. وقد أظهرتْ دراسةٌ نُشرَتْ في عَدَد دجنبر 2013 من المجلة الدولية للأبحاث في مجال التربية، شَمَلَتْ تلاميذَ من المُسْتوى الابتدائي، أنَّ قراءَةَ نَفْس النّصِّ على حامل وَرَقيٍّ وآخَرَ رَقْميّ (لوْحَة إلكترونية، آلة قراءة إلكترونية) لا تُحقّقُ نَفْسَ دَرَجَة الفَهْم والاسْتيعاب لَدَى القارئ. لذلكَ، فإنَّ القراءَةَ على حامل وَرَقيّ تُؤَدّي إلى تَمَثُّل ذهْنيٍّ أفْضَلَ للمُحْتَوَى المَقْروء، وبالتالي تَحَقُّقُ فهْمًا أكْبَرَ بالمُقارَنَة معَ القراءَة على حامل رَقْميٍّ. ووصلتْ دراسةٌ مماثلةٌ أجْرَتْهَا جامعَةُ ماريلانْدْ بالولايات المُتّحدَة الأمريكيّة على مجموعة من الطّلَبة إلى نتيجَة مُشابهَة. حيثُ أبرزَتْ مُفارقةً مفادُهَا رغْمَ أنَّ الكثيرَ منَ الطّلبة يُفَضّلونَ القراءَةَ على الحامل الرّقْميّ، إلا أنّ فهْمَهُم للنّصوص المَقْروءَة على الحامل الوَرَقيّ كان أفْضَلَ منْ فَهْمهمْ للنصوص المقروءَة رَقْميًا.

يمكنُ قراءةُ الكُتب والنّصوص الطويلة أو المُعَقّدَة (الوثائق والتّقارير والإصْدارَات العلْميّة) على حامل وَرَقيٍّ أو عبر الأنترنيت. غير أنَّ هذا النّوْعَ منَ القراءة يتطلّبُ، في كلْتا الحالتَيْن، بذْلَ مَجْهود على مستوى التّركيز والتذكُّر والقُدْرَة على تحْديد الشُّخُوص داخلَ النُّصُوص الأدَبيّة، كالرّوايات والقَصَص. وهو أمْرٌ يَغْدو مُسْتحيلًا إذا لَمْ تَكُنْ مَهاراتُ القراءة المَرْجعيّة مكْتَسَبَةً منْ

48 – الوكالة الوطنية لتقنين المواصلات، «البحث الميداني السنوي لتجميع مؤشرات تكنولوجيا المعلومات والاتصال لدى الأسر والأفراد»، لسنة 2017، ملخص النتائج الرئيسية للبحث، شتنبر 2018

قَبْلُ، أوْ إذا كانَت القراءَةُ الرّقْميّةُ صعْبَةً للغايَة أو غَيْرَ مُرِيحَة. إنَّ تَحَقُّقَ القِرَاءة التّركيزيّة يتطلّبُ توفُّرَ الكُتُب ووجودَ فضاءات هادئَة. كما أنَّ تحقُّقَها رهينٌ بطبيعَة الظروف الاجتماعية: أسرة ووسط ملائمان لهذا النوع من القراءة.

إنّ رفْعَ تحدّي الاسْتفادَة المُثْلى من القِرَاءة الوَرَقية والقراءة الرقمية يظل في المقام الأول مسألة تربية. فمن المعلوم أن نجاح جهود حث المتلقي على الإقبال على القراءة الورقية تكون أكبر إذا نشأ هذا الأخير منذ سِنٍّ مُبَكِّرَة على حُبِّ القراءة. كما أنّ القراءَةَ الرّقْميّة تقتضي مواكبة الأطفال والشباب في تطوير مهاراتهم في هذا المجال، على اعتبار أن إتقانهم للمعلوميات لا يعني بالضرورة إلمامهم بمهارات القراءة الرقمية، حتى وإن كانوا يُعَدون في حكم النوابغ في مجال المعلوميات. فمن الضروري إذن توفير تكوين ملائم للناشئة في مجال القراءة الرقمية (بلْ وفي الثقافة الرقمية) خاصة في المدرسة، وذلك من أجل تمكين الأجيال الشابة من تملك أفضل للطابع المركب للمضامين الرقمية وتطوير قدراتهم في مجال القراءة والتعلم والتحليل، وتنمية الحس النقدي لديهم. كما يتعين خلق توازن بين القراءة الورقية والقراءة الرقمية.

الكتابُ الرّقْميّ

الكتابُ الرّقْميُّ *e-book* هو كتابٌ صادرٌ ومنْشورٌ في صيغَة إلكترونيّة، ويكونُ في شكل ملَفٍّ رقْميٍّ يُمْكنُ تحميلُه وتخزينُه وقراءتُه على حامل للقراءة الرَّقْميّة مِنْ قَبيل الهواتف الذّكية واللوحات الإلكترونيّة وشاشات القراءة الإلكترونية (القارئاتُ الإلكترونيّةُ) والحواسيب. ويطرحُ الكتابُ الرقميُّ، بالنظر لخَصَائصه التقنية والاقتصادية، تحدّيات جديدَةً على مَجال النشر. لذلك باتَ على الناشرينَ، أمامَ أنْماط الإنْتاج والتّوزيع والنشر الخاصّة بالكتاب الإلكترونيّ، العَمَل على إعادة التفكير في مهنتهم ومُلاءَمَة عَرْضهم.

وحينَ لا يَكُونُ الكتابُ الإلكْتْرُونيُّ متوفرًا بالمجّان، فإنّ سعْرَهُ يكونُ أقَلَّ مِنْ سعْر صيغَته الوَرَقيّة بنسْبَة تتراوَحُ ما بين 20 و60 في المائة. كما أنه باتَ بإمْكان المؤلف أنْ يتجاوزَ مجموعَ المُتَدَخِّلينَ في سلسلة النّشْر التقليديّة، ويعْمَدَ إلى نَشْر عَمَله مُباشرَةً وبكلّ حُرّيّة على الأنترنيت، بِمَا يَسْمَحُ بانتشار الكتاب في كُلِّ أرْجاءِ المَعْمور بدُون أدْنَى قُيود جُغْرَافيّة. صَحيحٌ أنّ الكتابَ الرقميَّ لا يزال بعيدًا عن سَحْب البِساط منْ تحت الكتاب الوَرَقيِّ. غير أنَّ مؤشرات انْتشاره في تصاعُد مستمرٍّ ومُنْتَظم. فَحَسَبَ النّقابة الوطنية للنشر بفرنسا، حقّقَ رقْمُ مُعاملات النّشْر الرَّقْميّ خلالَ سنة 2017 ما مجموعُهُ 202 مليون يُورُو، بارتفاع بلغت نسبته 9.8 في المائة مقارنة مع سنة 2016. ومن جهة أخرى، تشكّلُ مَبيعاتُ المُحتويات الرّقْمية 7.6 في المائة من إجمالي رقم مُعامَلات النّاشرينَ.

أمّا في المغرب، فإنّ قطاعَ الكتاب الرّقميِّ لا يزالُ في مراحله الأُولى. وَحَسَبَ وزارة الثقافة والاتصال، فإنّ حصّةَ الكُتُب الرّقْمية منْ مجمُوع العناوين المعْروضة في المعرض الدولي للنشر والكتاب، في دورة سنة 2018، قَدْ بَلَغَتْ 2 في المائة. وفي انتظار قيام إنْتاج وطنيٍّ في هذا المجال، فأمام القارئ المغربي امكانياتٌ هائلةٌ للولوج إلى أعدادٍ وفيرةٍ من المَصادر الدّوْليّة

من الكُتُبِ الرّقْميّة. على صعيدٍ آخَرَ، ونظرًا لتكاليف النشر المنخفضة (بل والمنعدمة تمامًا)، فإنّ الكتابَ الرّقْمِيَّ يوفر فرصةً كبيرة للمؤلفين المغاربة من أجل توزيع كُتُبِهِمْ، شريطةَ توفّرِ نموذَجٍ اقْتِصاديٍّ مُلائِمٍ للنّشْرِ الرّقْمِيّ بهدفِ الحفاظ على حقوقهم وتمكينِهِمْ من إيجادِ الجُمهور الواسِعِ من القُرّاء.

الخِزانَةُ الرّقْميّة

المكتبةُ الرّقميةُ هي عبارَةٌ عَنْ مَنَصّةٍ إلكترونية تمكّنُ القُرّاءَ من الوُلوجِ لمَضامين رَقْميّة وتقتَرِحُ عليهم مصادرَ مُبَوَّبَةً ومُنْصِفَةً. وتتألف هذه الموارِدُ إمّا من كُتُبٍ وَرَقِيةٍ تَمّتْ رَقْمَنَتُها أو من وَثائقَ رقميّةٍ من الأساس. وَكَكُلّ هيئة أخرى، تحتاجُ المكتبةُ الرقميةُ في عَمَلِها لوَسائلَ بَشَرِيّة ومادّيّة. هكذا، باتَت المَهامّ التي تضْطَلِعُ بها المكتباتُ التقليديّةُ تنتقل إلى العالم الرَّقْمِيِّ. إذْ غالبا ما تكونُ المكتباتُ الرّقميةُ امتدادًا لمكتبةٍ وَرَقِيّة ومشروعًا يَخْرُجُ من رَحِمِها. ويوفّرُ هذا البُعْدُ الجديدُ الذي باتَتْ تكتسيه المكتبةُ العديدَ مِنَ المَزايا للقارئ، منها توفُّرُ الخدْمَة على مَدارِ اليَوْمِ والأسْبُوعِ، وَسُهُولَةُ الوُلوجِ للوثائقِ بفَضْلِ محرِّكِ البحث، وأعداد هائلة من الكُتُبِ والوثائقِ والمَوادّ، وإمْكانيّة الوُلوج للوثائقِ من أيِّ مكانٍ في العالم دونَ قُيُودٍ جُغْرافيّةٍ.

وتجْدُرُ الإشارَةُ في هذا الصَّدَد، إلى تجربة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، التي تقترحُ على مُرْتاديها، في إطار تَنْويعِ عَرْضِها في مَجال المَوارِد الإلكترونيّة، قواعدَ بَيانات بيبْليوغْرافيّة جديدة تمكّن مِنَ الوُلوجِ إلى محتوى غَنيٍّ ومُتَنَوّعٍ يشْمَلُ الكُتُبَ والمَجَلّات والمَوْسوعات، وإلى نُصُوصٍ وبيبليوغرافيّات رَقْميّة. هكذا تسمحُ المكتبةُ بالوُلوجِ إلى أزْيَدَ مِنْ 8.400 مجلّة، يُمْكِنُ الاطّلاعُ على الصِّيغةِ الكاملة لـ 4.600 مجلّة منها. وتهمُّ المجالات التي تغطّيها هذه المَنَصّةُ الرّقْميةُ البيولوجيا والكيمياء والهَنْدَسَة والفيزياء وعلْم النّفس والأديان وأصُول الدّين، إلخ. وَهُناكَ مَنَصّةٌ رقميّةٌ أُخْرى تسْمَحُ بالوُلوجِ إلى كُتُبٍ إلكترونيّة (25.000 عُنْوان) ومقالاتٍ إلكترونيّةٍ (17.000 مقال تمّتْ رَقْمَنَتُها انطلاقًا مِنْ مجلّاتٍ وكُتُبٍ وَرَقِيّة مُؤَلَّفَة بشَكْلٍ جَماعِيّ)، وفيديوهاتٍ (300 فيلم وثائقيّ وَرِوائيٍّ وَتَسْجيلاتٍ لمَسْرَحِيّات، إلخ). ويمكنُ الاطّلاعُ على هذه المواردِ داخلَ كُلّ فضاءاتِ المكتبةِ المُخَصّصَة للقراءَة.

وقدْ أبْرَزَتْ إحْدَى جَلَسات الإنْصات التي نَظَمَها المَجْلسُ الاقتصاديُّ والاجتماعيُّ والبيئيُّ الجُهودَ التي تَبْذُلُها المعاهدُ الثقافيّةُ الأجنبيّةُ بالمغرب[49]، حيْثُ توفّرُ هذه الأخيرةُ في الغالبِ مكتبات كلاسيكيّةً، مَعَ رَصيد هامٍّ من الكُتُبِ والموادّ السّمعية البَصَريّة، بالإضافة إلى مَكْتبة رَقْميّة حُبْلَى بالكُتُبِ الإلكترونيَّة. وتُعَدّ هذه المكتباتُ الرّقميّةُ عِبارَةً عَنْ مَنَصّةٍ معلوماتية يَلِجُها مُرْتَادُو هَذِهِ المَعاهِد عَبْرَ شَبَكَة الأنترنت. وتظهر إحصائيات السنوات الأخيرة ارتفاعا مهمًّا في استعمال المكتبة الرقمية في حين تَشْهَدُ المؤشِّراتُ المتعلقة باستعمال المكتبة العادية استقرارًا.

49 – جلسة إنصات مع السيد مايتي أزوران، مسؤولة عن مكتبة معهد سيرفانطيسّ الإسباني بالرباط، 12 أبريل 2018

إنّ التّطَوُّرَ الذي تعْرِفُهُ المكتبةُ الرّقْميةُ عبْرَ العالَمِ ينبغي أنْ يَحْذُوَ بالسُّلطات العُموميّة بالمغرب إلى العَمَلِ على المُحافَظة على التُّراث الوَطَنيّ والدّولي (الكُتُب والمَجَلّات والْجَرَائد وكلّ أنْواع الأعْمَال الفكْريّة) المكتبة الوطنيةوَضَمان حفْظ وَنَشْر الإنْتَاج الفكْريّ والثقافي الوَطَنيّ، وَوَضْع رَهْن إشارَة القُرّاء، داخلَ المَغْرب وخارجَه، رصيدًا من الوثائق أكْثَر ثراء. كما يمكنُ لوزارة الثقافة والاتصال أنْ تُفَكِّرَ في تزْويد شَبَكة القراءة العموميّة (المكتبات العمومية) بمنَصَّة رقميّة تَكْفُلُ تقاسُمَ المَوارد الرّقْمية التي تتوفّرُ عليْها. من جانبه، يُمْكن لقطاع التربية الوطَنية أنْ يربطَ بيْنَ المكتبات المدرسيَّة، وَبالتّالي خَلْق مَكْتبة مدرسيّة وطنيّة رقميّة، بإمْكان التلاميذ الاستفادة منْها على مَدار اليوم وفي مجمُوع تُراب المَمْلَكة.

ومنْ ثَمّ، فإنّ الأداةَ الرّقْميّةَ تُعتبرُ وسيلةً بسيطةً ومُنْخفضةَ التّكْلُفة ومستخدمة بشكل واسع النطاق بين صفوف الساكنة من شأنها أن تمثل آلية هامة من أجل تيسير الولوج لمضامين مكتوبة وفيديوهات تعليمية. لذلك، يمكن استعمال هذه الدعامة الرقمية من أجل تسريع الولوج للكتب الإلكترونية ومضامين أخرى للقراءة أو تطوير القدرات في مَجال القِرَاءَة، وذلكَ بفَضْل برامج معْلوماتيّة خاصّة بالتعلُّم أو بالمساعدة على الولوج للمحتويات الرقمية المكتوبة. كما أن التكنولوجيا الرقمية أحدثت أنماطا جديدة للقراءة تقوم على استعمال نصوص قصيرة وعلى التفاعل المباشر بين الأشخاص.

وَقَدْ ظَهَرَتْ خلالَ السَّنوات الأخيرة، في الدُّوَل النّامية أساسًا، مَشاريعُ لمَحْو الأمّية تسْتندُ إلى استعمال تطبيقات للهَواتف واللّوَحَات الذَّكيّة مُخَصَّصَة لهذا الغَرَض. ويُعتبر مشروع «المعرفَةُ قُوّةٌ» لمحو الأمية أَحَدَ المشاريع الّتي يتم تنفيذها بمصر بدعْم من شريك في مَجال الاتصالات وعدد. ففي إطار هذه المبادرة، جَرَى تَطْوير تطْبيق خاصٍّ بتعلُّم القراءة والكتابة، وتم وضعه رهن إشارة المستعملين. هكذا، استفاد مئات الآلاف من المصريين، معظمهم نساء (70 في المائة) من هذه المبادرة من أجل تطوير قدراتهم في مجال القراءة والكتابة. ويعدّ هذا النوع من المبادرات ملائمًا جدا للمغرب، حيث معدل انتشار الهاتف المحمول جدّ مرتفع. وَمنْ شَأن اسْتعْمال هذه التكْنولوجيا الرّقمية توسيع نطاق برامج محو الأمية لتشمل مناطق نائية ومستفيدين من ذوي الاحتياجات الخاصة. وَسَيَكُونُ منَ المُفيد أيضًا اسْتلهام هذا النّوْع من الأبحاث لتَطْوير كفايات وَمَهارَات في هذا الاتّجاه في المغرب.

III. توصيات: من أجل نُهوض ناجع ومُسْتدام ومُدمج للْقرَاءَة

سَمَحَ لنا تحليلُ وَضْعية مُختلف المُكوّنات المُتَعَلِّقة بإشْكاليّة النُّهُوض بالقراءَة (الأُسْرَة، المدرسة، المكتبات المدرسيّة والعُموميّة، سلسلة القيمة المتعلّقة بالنّشر، المُحيط السّوسيو-اقْتصاديّ)، وكَذا المُبادَرات المُتَّخَذَة على المُسْتَوَى الوَطَنيِّ والجِهَويّ والمَحَلِّيِّ للرّفْع من مُستوى «القَرائيّة»، عِلاوَةً على الدُّرُوس المُسْتَفادَة من بعْض المُمَارَسات الجَيِّدَة على الصّعيد الدّوْلي، باقْتراح نَوْعيْن من التّوْصيات، **توصيات ذات طابَع اسْتراتيجيّ وتوصيات إجْرائيّة**:

تَوْصياتٌ ذاتُ طابَعٍ اسْتْرَاتيجِيٍّ:

جعل النهوض بالقراءة من بيْنِ الأولوياتِ الوطنية وإدراجها ضمْن السّياساتِ العُموميّة .

- إعْداد إطارٍ مُؤسّساتيّ وتشْريعيّ خاصّ بالنّهوض بالقراءَة.
- تنظيم مناظَرَة وطنيّة حول القراءَة في وظائفها المُختلفة، مِنْ أَجْلِ إعْداد سِياسَة مُنْدَمِجَة ومُشْتَرَكَة بيْن مختلف الفاعلين المعنيّين.
- تنزيل هذه السّياسَة في شكْل مُخطّطات عَمَل، وذلكَ من خلال إعْداد عُقُود-برامج تتعلّقُ بالنّهوض بالقرَاءَة من طَرَف مختلف القطاعات الوزاريّة المَعْنيّة، لا سيّما وزارة الثقافة والاتّصال ووزارَة التربية الوطنيّة والتكوين المهني ووزارَة الأُسْرَة والتضامن والمُسَاوَاة والتنمية الاجتماعية. ويتعَيّنُ أنْ تَتَضمّنَ هذه العُقود مَجْموعَةً من التّدابير تَهُمُّ:

- الانْخراط الفعْليّ للْإدارَة في تنفيذ السِّياسَات ومُخطّطات العَمَل الرّامية إلى النُّهُوض بالقرَاءَة؛

- تشجيع مُمارسات القراءة داخلَ الْوَسَط العائليّ، بما في ذلكَ التحسيس بأهمّيّة القراءَة ومُصاحبتها وَخَلق أَنْشطَة مُناسبَة للشّبَاب وللْأَشخاص ذَوي الاحْتياجات الخَاصّة، وتيْسير ولوج ضعاف البَصَر والمكفوفين إلى قراءة النصوص الورقيّة بوسائل ملائمة؛

- إعادَة تَأْهيل المَكْتَبَات المَدْرسيّة، من خلال تَزْويدها بمَوَارِدَ وَثائقيّة جديدة، وتعْزيز منْظُوماتهَا المَعْلوماتيّة، والرَّبْط فيما بيْنَها في إطار شَبَكَات.

- تطوير برامج تتعلّق بالتّكْوين في مجال مِهَن الكتاب.

- دعم المجتمع المدني من أجل تنفيذ برنامج على مستوى كل جماعة ترابية، يهدف إلى تشجيع القراءة في مختلف الدعامات.

- جعْل قضيّة النّهوض بالقراءَة وَرْشًا أساسيًا للسّياسة الجديدة المتعلّقة بالتّنمية التُّرابيّة، من خلال التّشجيع على إعْداد اتفاقيّات بيْنَ الجهَات وبين الدّوْلَة للنُّهُوض بالقرَاءَة في إطار مُخطّطات التّنمية الجهَويّة، وذلك بالتّركيز على العَالَم القَرَوِيِّ وعلى الشَّبَاب المُنْحدرين من أوْسَاط مَحْرُومَة أو ذوي الاحتياجات الخاصّة. فَضْلاً عنْ إعادَة التّفكير في دَوْر المكتبات (خارجَ اسْتعارَة الكُتُب) من أجْل مُلاءَمَتها مع التّحَوُّلات الاجتماعيّة وَمَع تطوُّر انْتظارات المُرْتَفقين.
- العمل، على مُستوى الجماعات التُّرابيّة، على تخصيص ميزانيّة خاصّة للنّهوض بالقراءَة حسب الجماعة أو مجموعة من البلديّات.
- تَشْجيعُ القطاع الخاصّ (في إطار المسؤوليّة الاجتماعيّة للمقاولات) على الاستثمار في تطوير المكتبات المدرسية والمراكز الثّقافيّة، وكذلك في خلق عددٍ كبيرٍ من الفضاءات الخاصَّة بالقرَاءَة في مُخْتَلف أماكن العَيْش.
- دعم الأبْحاث في مختلف التَّخَصُّصَات (علم الأعْصَاب، السّوسيولوجيا، الأنثروبولوجيا) التي تَهُمُّ أساليب وطُرُق الوُلُوج إلى القرَاءَة.

توصياتٌ ذات طبيعة إجرائيّة:

لقد غيرت الثورة الرقمية وتطوير الأدوات المتصلة، بكيفيّة جذريّة، عمليّة الولوج إلى المعلومات والمَعارف وأشْكال التّواصُل. كما أنَّ هَذه الأدَوات سَهْلَةُ الاسْتعمال وَغَيْرُ مُكَلِّفَة ومُنْتَشرَةٌ على نطاق واسعٍ بيْن السّاكنَة. وفي هذا الشّأن، يُوصي المَجْلسُ بما يلي:

تشْجيعُ الفاعلينَ العُموميّين والقطاع الخاصّ على اسْتعمالِ جميع الأدَواتِ والتّطْبيقاتِ، الرّقْميّة بوَجْهٍ خاصّ، لتحْسينِ وتوْسيع مُختلف أشْكالِ القراءَة.

لتحقيق هذا الهدف، ينبغي العمل على :

- التّشْجيع على خَلْق مُحْتوىً رَقْميٍّ مُلائم للقرَاءة عبْرَ الإنترنيت، ينسجم ويتَماشَى مَعَ الأسَاليب والصِّيَغ الجديدة للقراءة والّذي يُقَدّم للقُرّاءِ تَنَوُّعَ الإنْتاج المَكْتُوب، ولا سيّما ما يتعلّقُ بالإنْتاج المغربي؛
- إضافةً إلى ذلك، وفي إطار الخدمة العُموميّة، وبشَراكة مَعَ قطاعات الاتّصَال وَوزَارة الثقافة، يتعيّنُ إنْشاءُ مَكتبات مجّانية عبْرَ شبكة الإنترنت للنّهوض بتُراثنا الثّقافيِّ الوطني والتُّراث العالَميِّ؛
- إحْداثُ شَبَكَة للْمَكْتبات تكونُ مُعَزَّزَة بوَثائق رَقْميَّة، إضافَةً إلى تَعْزيز مَهَارَات الجَمْعيّات والطلبة المتَطَوِّعينَ عَبْر توْفير تكْوينات في مجَالِ مهَنِ المَكْتَبَات، ومُواكَبَة مُرْتَفقي هذه المَكْتَبَات؛

- تمكين ضعاف البصر والمكفوفين، من الولوج إلى الوثائق الرسمية من خلال النهوض باستعمال البْرايل وتقنيات أخرى بديلة توفرها التكنولوجيا الحديثة؛
- إطْلاق مُبادَرَة وطنيّة لتَشْجيع المُقاوَلات النّاشئة المُنخَرطة في مجال خلق أدوات وتطبيقات رَقْميّة موجهة للنهوض بالقراءة، وذلكَ مِنْ أجْلِ إشراك أكبر عَدَدٍ من الأشْخاص في عمليّة القراءة، معَ الأخْذ في الاعْتبار حاجياتهم الخاصّة؛
- تشجيع تطْوير أدَوَات مُبتكرة ترْمي إلى مُحارَبَة الأمّيّة بكيفيّة جذْريّة، وإلى تحْسين جَوْدَة التّعلُّمات ومنْظُومات تَقْييم مُكْتَسَبات المُتَعلِّمين؛
- تخْصيص فضاء رَقْميّ (مواقع رقْميّة، أدَوات تفاعليّة مُساعِدَة) من أجْلِ دَعْم وتَقاسُم التجارب بيْنَ المكتبات ومِهْنيّي النَّشْر؛
- إعداد برنامَج للتّكْوين والمُواكَبَة داخلَ المكتبة الوطنية للمملكة المَغربيّة، من أجل مصاحَبَة المكتبات على الصعيد الوطني، طيلة مراحلِ تكوينها وَعَمَلِهَا.

تعزيزُ إنْتاج الكتاب وتوْزيعُهُ

في هذا الإطار، يَعْتبرُ المَجْلسُ أنّه من الضّروريّ:

- تشْجيعُ النّشْر ومُخْتَلف المَشاريع المتعلّقة بالكتاب، منْ خلال اعْتمَاد تَدَابير تَحْفيزيّة، وَدَعْم المَنْشُورَات والمُؤلفات التي يقْتَرحُها الكُتّابُ المَغارِبَة، قَصْدَ المُساهَمَة في تَوْفير الكتاب للجميع؛
- تشْجيعُ نّشْر وتوزيع مؤلفات الكُتّاب المغاربة من خلال إرساء برامج تشجيعية وتَدَابير تَحْفيزيّة، مثل منح الجوائز وتوفير الدّعْم لمختلف فئات المؤلفات، وتحفيز الصّحف على نَشْر نُسْخَة إلِكْتْرُونيّة لمُحْتَوَياتها؛
- تمْكين المؤلِّفين منْ وَضْعيّة اعتباريّة تشجّع على الإبْداع وتوفّر لهم حقوقاً اجتماعيّة ومهْنيّة؛
- تنظيم أنْشطَة مُنتظمة للنهوض بالقرَاءة (وبالكتَابة) داخلَ المَدْرَسَة (مُسابقات بيْن المدارس، إحداث جوائز تشجيعيّة، إحداث أنْديَة ثقافيّة، الخ)، وذلكَ بتَعَاوُن مع آباء أولياء التّلاميذ والمجتمع المدني والمُؤَلِّفين وَمِهْنيّي النشر والجماعات التُّرابيّة؛خلْقُ مُنافَسَة من خلال الدّعوة إلى مشروع للهيئات الجمَعويّة أو المُقاوَلات لاقتراح مشاريع تنشيط في مُختلف أماكن العَيْش (مواقع الخزانات، مَقاهي القرَاءَة، بما في ذلكَ أمَاكن العَمَل)؛
- وضْع أجَنْدة سَنويّة لتنظيم أسْبوعٍ وَطَنيّ للقراءَة، بشَرَاكَة بيْن وزَارَة الثّقافة والمكْتَبَة الوَطَنيّة للمَمْلَكَة المَغْربيّة.

ملاحق

الملحق 1: لائحة أعضاء اللجنة الدائمة المُكلفة بمجتمع المعرفة والإعلام

رئيس اللجنة	أمين منير علوي
المقرر	عبد الله الدغيغ
الأعضاء	أحمد عبادي نبيل عيوش أحمد بهنيس محمد بنشعبون مصطفى بنحمزة محمد بن قدور لطيفة بنواكريم ليلى بربيش علي بوزعشان لحسن حنصالي أرمان هاتشويل عبد العزيز إيوي مصطفى اخلافة عبد الله المتقي ألبير ساسون محمد واكريم احجبوها الزبير
الخبير الدائم	مصطفى النحال

المُلحق 2: لائحة الشّخصيات التي تَمَّ الإنْصاتُ إلَيْها

عبد القادر الرتناني	**متلقى الكتاب**
إلهام الزهيري	**مطبعة المعارف الجديدة**
فوزي السلاوي	**مكتبة خدمة الكتاب**
حمودة بوغالب	**مجموعة مكتبة المدارس**
مايت أزوران	**مؤسسة سيرفانطيس، الرباط**
رشيدة الروكي	**شبكة القراءة بالمغرب**
أسماء اللبار	**مؤسسة البنك الشعبي**
عبد الرحمان حنصال	**الرئيس السابق بجمعية دعم المكتبات القروية**
عزيز دادان	**جمعية ألف**
فؤاد شفيقي	**وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي**
بنعيسى زغبوش	**جامعة سيدي محمد بنعبد الله، فاس**
إدريس خروز	**المدير السابق للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية**

الملحق 3: مراجع بيبليوغرافيّة

- Ahmed Massaia, Un désir de culture, Essai sur l'action culturelle au Maroc, Editions la Croisée des chemins, Casablanca, 2013.
- CESE, Inclusion des jeunes par la culture, Auto-saisine n° 3/2012.
- CESE, Lieux de vie et action culturelle, Auto-saisine n° 10/2013.
- Fostering a culture of reading and writing, Examples of dynamic literate environments, UNESCO, 2017.
- Frédéric Mitterand, Présentation des propositions pour le développement de la lecture, Département de l'information et de la communication du MCC, 30 mars 2010, www.culture.gouv.fr.
- Le magazine scientifique, Social Science & Medicine, 2016.
- Les pratiques culturelles des Marocains, étude réalisée par Aicha Nouri et Mohamed Sammouni, entre le 17 décembre 2015 et le 30 juin 2016.
- Sylvie Octobre, Deux pouces et des neurones. Les cultures juvéniles de l'ère médiatique à l'ère numérique, Paris, La Documentation Française, coll. « Questions de culture », 2014.
- United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland. Bookstart, Fostering a culture of reading and writing, 2017.